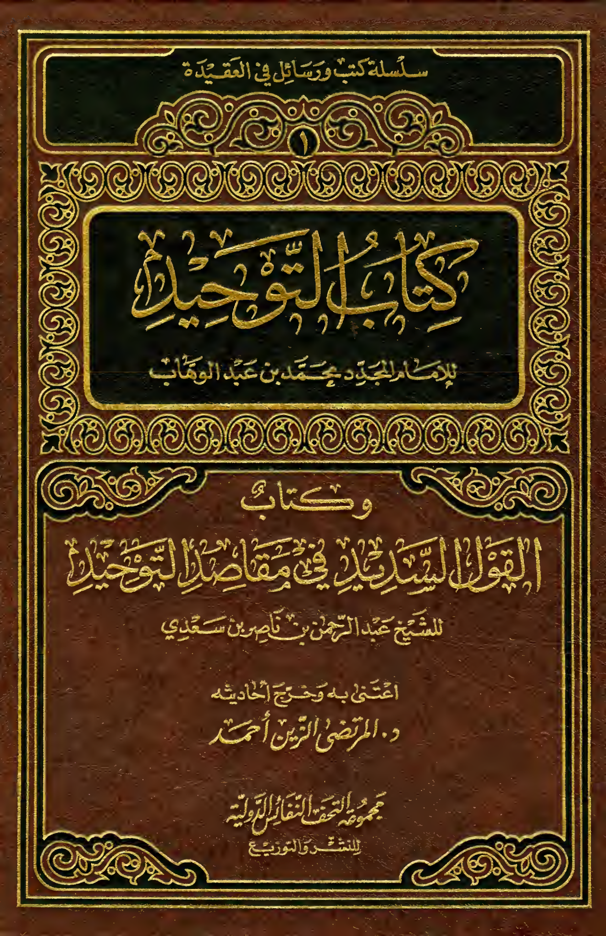

سلسلة كتب ورسائل في العقيدة
١
كتاب التوحيد
للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
وكتاب
القول السديد في مقاصد التوحيد
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي
اعتنى به وخرج أحاديثه
د. المرتضى الزين أحمد
مجموعة التحف النفائس الدولية
للنشر والتوزيع

سلسلة كتب ورسائل في العقيدة (١)

كتاب التوحيد

للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
١١١٥ - ١٢٠٦هـ - رحمه الله

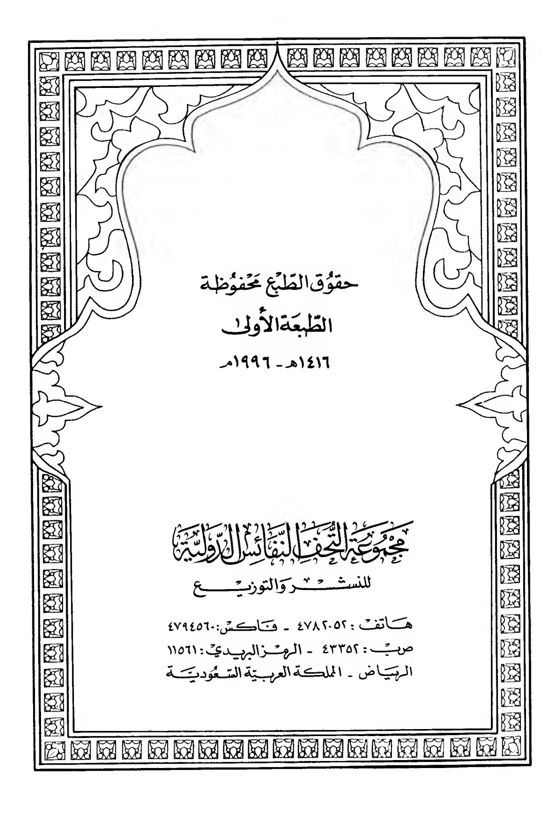
وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي
١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ - رحمه الله

اعتنى به وخرج أحاديثه
د. المرتضى الزين أحمد

مجموعة التحف النفائس الدولية
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وقل رب زدني علما﴾



الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مجموعة التحف النفائس الدولية

للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٧٨٢٠٥٢ - فاكس: ٤٧٩٤٥٦٠

ص.ب: ٤٣٣٥٢ - الرمز البريدي: ١١٥٦١

الرياض - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢].

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) [النساء: ١].

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[1].

أما بعد، فإن توحيد الله وإفراده بالعبادة أساس هذا الدين، وهو الغاية التي خلق الله الثقلين - الجن والإنس - لتحقيقها، قال الله تعالى (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦] وقد أمر الله تعالى الناس كلهم بعبادته كما قال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) [البقرة: ٢١] ولقد بعث سبحانه الرسل كلهم للدعوة لتوحيده وإفراده بالعباده (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) [النحل: ٣٦] (وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥].

---

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يستفتح بها خطبه ومواعظه، رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة باب خطبته ﷺ في الجمعة (٦/ ١٥٣) مع شرح النووي والبيهقي في سننه (٣/ ٢١٤) وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٢) وغيرهم.

وهذا المبدأ مع وضوحه وأهميته تساهل فيه كثير من الناس، وزهد فيه كثير من الدعاة، وقال بعضهم إن الاهتمام بهذا الأصل والدعوة إليه يفرق المسلمين ويمزق وحدتهم، وحسبهم أن يقول المسلم لا إله إلا الله بلسانه ويصلي ويصوم ويؤدي بقية أركان الإسلام، ولا مانع عند هؤلاء أن يكون المسلم بهذه الصفة ولو كان ينقض توحيده بدعاء الأموات والاستغاثة بهم. ولهذا ـ وغيره ـ فإن الدعوة إلى بيان توحيد الله، وتوضيح نواقضه والتحذير منها، وبيان حقيقة ما دعا إليه رسول الله ﷺ وحمايته ﷺ لتوحيد الله وتحذيره من الشرك وأسبابه من الأمور الهامة التي يجب على الدعاة الاهتمام بها، وتقديمها في دعوتهم إلى الله على كل شيء، ومن الكتب التي بينت هذه الأمور ووضحت حقيقة التوحيد (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الإمام المجدد.

شروح هذا الكتاب:

لقد لقي كتابه هذا عناية كبيرة من العلماء، وشرحه جماعة منهم، فمن ذلك:ـ

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ١٢٣٣هـ

(٢) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ١٢٨٥هـ

(٣) القول السديد شرح في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ

كتاب القول السديد:

ومن هذه الشروح كتاب (القول السديد) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ وهو شرح مختصر وسهل العبارة قد وصفه مؤلفه ـ رحمه الله ـ بقوله:



(فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً في مواضع من (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ قدس الله روحه ـ.)[١]، وذكر ـ رحمه الله ـ أن (كتاب التوحيد): (يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة: يذكر أحكامه، وحدوده، وشروطه، وفضله، وبراهينه، وأصوله، وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل).[٢]

وقد بيَّن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ هذه المسائل ـ وغيرها ـ بياناً لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن، وقد عبر عن ذلك في نهاية كتابه بقوله:

(وهذا آخر التعليق المختصر على (كتاب التوحيد)، وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها، والحمد لله على تيسيره ومنته).[٣]

وتتشرف (**دار التحف النفائس الدولية**) التي تتولى إصدار (سلسلة كتب ورسائل في العقيدة) أن يكون أول إصدار لهذه السلسلة هذا الكتاب (القول السديد في مقاصد التوحيد) مساهمة منها في نشر عقيدة السلف الصالح، والدعوة إلى توحيد الله، ولقد حرصت في هذه الطبعة على إتقانها مقابلة وتصحيحاً وإخراجها إخراجاً جيداً، خالية من الأخطاء إن شاء الله، وتخريج أحاديثها بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء، والصفحة، ورقم الحديث ـ إن وجد ـ وبيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف بنقل أقوال علماء الحديث في ذلك، وقد اعتمدنا في هذه الطبعة على الطبعة التي نشرتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) وقد تم طبعها في (شركة الطباعة

---

(١) القول السديد، ص: ٣

(٢) القول السديد، ص: ٣.

(٣) القول السديد، ص: ١٨٦.

السعودية المحدودة) عام ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م. ولعلها من اتقن طبعاته، ولعل الله ييسر لنا الحصول على أصول هذا الكتاب (مخطوطاته) حتى يتسنى لنا نشره وتحقيقه تحقيقاً أكثر اتقاناً وتنقيحاً.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب في تصحيح المفاهيم وبيان حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المرتضى الزين أحمد
الرياض
٤/٤/١٤١٦هـ

***

مقدمة

القـــول الـــســديــــد
في
مقـاصـــد التـــوحيـــد

الحمدُ لله نَحمَـدُه ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتـوبُ إليه ونعوذُ بـالله من شرورِ أَنْفُسِنَا وسَيِّئاتِ أَعمَالِنَـا . من يَهْدِ اللهُ فلا مُضـلَّ له ، ومَنْ يُضلل فـلاَ هَاديَ لـه ، وأَشهَدُ أَن لا إلـه إلَّا الله وحدهُ لا شَريكَ له ، وأَشهدُ أَنَّ مُحمدًا عبدهُ ورَسُولهُ .

أما بعـــد : فقد سَبَقَ أَنْ كَتبْنَـا تعليقًا لطيفًا في مـواضع من كتاب التـوحيد لشيخ الإسلام (**محمد بن عبدالوهاب**) قَدَّسَ الله روحه ، فحصَلَ فيه نفع ومعونة للمشتغلين ، ومساعـدة للمعلمين ، لما فيه من التفصيلات النـافعة مع الـوضوح التـام . وطُبِعَ بمطبعـة الإمـام ثُمَّ نفـدت نسخـه معَ كثـرة الطَلَبِ عليـه . ودعت الحاجة الشـديدة إلىٰ إعـادة طبعه ونشره ، وفي هـذه المرة بدا لي أَن أُقـدِّمَ أَمام ذلك مقـدمة مختصرة تحتـوي على مُجملات عقـائد أَهلِ السُّنة ، في الأُصـول وتوابعهـا ، فأَقول مستعينًا بالله :

مقدمـــة

تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها

المستمدة من الكتاب والسنة

وذلِكَ أَنهم يـؤمِنونَ بـالله وملائكتـه وكتبـه ورُسلِهِ واليـومِ الآخِرِ والقـدَرِ خيرِهِ وشرهِ .

فيشْهدُونَ أَنَّ الله هو الربّ الإلــه المعبود، المتفرِّد بكل كمال، فيعبـدونه وحدَه مُخْلِصِينَ له الدِّين .

فيقُولون : إنَّ الله هو الخالِق الباريء، المصوِّر الرزّاق المُعطي المانع المُدبِّر لجميع الأُمور.

وإِنَّهُ المألـوه المعبودُ الموحَّدُ المقصـود، وإِنَّه الأوَّل الذي ليس قبلـه شيء، الآخر الذي ليس بعـده شيء، الظاهر الذي ليسَ فـوقه شيء، الباطن الـذي ليس دونه شيء .

وإِنَّهُ العليُّ الأَعْلىٰ بِكُلِّ معنىً واعتبار، علو الذَّاتِ وعلو القَدْرِ، وعلو القهر.

وإِنَّـهُ على العرش استـوى، استواءً يليق بعظمتـه وجـلاله، ومع علـوه المُطلَق وفـوقيته، فعلمـه محيطٌ بالظـواهـر والبواطن، والعـالم العلوي والسفلي، وهـو معَ العِباد بعِلمه، يعلمُ جميعَ أَحْوالهم، وهوَ القريبُ المُجيبُ .

وإِنَّهُ الغنيُّ بذاته عن جميع مخلوقـاته، والكلّ إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتـاجون إليـهِ في جميع الأَوقـات، ولا غنىً لأَحـدٍ عنه طـرفـة عين، وهو الـرؤوف الرَّحيم، الذي مـا بالعباد من نعمة دينية ولا دنيويـة ولا دفع نقمة إلاَّ من الله، فهو الجالب للنعم، الدَّافع للنِقَم .

ومن رحمته أنَّه ينْزِلُ كل ليلة إلىٰ السماء الدُّنيا يستعرض حاجات العِبَاد حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر. فيقول: «**لا أسألُ عن عِبادي غيري، مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيب له، مَنْ ذَا الذي يسألني فأُعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفِرُ له**»[1] حتى يطلع الفجر، فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ويعتقدون أنَّهُ الحكيم، الذي له الحِكْمَة التَّامَّة في شرعه وقدره، فما خلق شيئًا عبثًا، ولا شَرَعَ الشرائعَ إلاَّ للمصالح والحِكَم.

وأنَّهُ التوَّاب العفو الغفور، يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ، ويعفو عن السيِّئاتِ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين.

وهو الشَّكُورُ الذي يشكرُ القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بِمَا وَصفَ به نفسه، ووصفهُ به رسوله ﷺ من الصِّفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القُدْرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعَال المُتعلِّقة بمشيئتهِ وقُدرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنَّه يتكلَّم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد.

وأنَّ القُرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

وأنَّهُ لم يزَل ولا يزال موصوفًا بأنَّه يفعل ما يُريد، ويتكلَّم بما شاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدريَّة وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فهو الحاكم المالك ومن سواه مملوك محكوم عليه فلا خروج للعباد عن مُلْكِهِ ولاعن حُكْمِهِ.

ويؤمِنُونَ بما جاءَ بِهِ الكتَاب وتواترتْ به السُّنة: أَنَّ المؤمنين يرون رَبَّهُمْ تعالى عيانًا جهرةً، وأن نعيمَ رؤيته والفوز برضوانه أكبَرُ النعيم وألذُّه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١/ ٣٨٤) حديث رقم (١٠٩٤). ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (١/ ٥٢٢) حديث رقم (٧٥٨) دون الجملة الأولى (لا أسأل عن عبادي غيري).

وأَنَّ من مَـات على غير الإيمان والتـوحيـد فهو مُخَلَّـدٌ في نـارِ جهنَّمَ أَبـدًا، وأَنَّ أَربابَ الكبـائِرِ إذا ماتوا على غير تـوبة ولا حصل لهم مكفِّرٌ لذنوبهم ولا شفـاعة فإنَّهُمْ وإنْ دَخَلُوا النَّـارَ لا يُخَلَّدُون فيها، ولا يبقىٰ في النار أَحدٌ في قلبِـه مِثْقَالُ حبَّة خَردَلٍ من إيمان إلاَّ خرجَ منها.

وأَنَّ الإيمان يشمل عقـائد القلـوب وأَعمالها، وأَعمال الجوارح وأَقوال اللسـان، فمن قـام بها على الوجـه الأَكْمَل فهو المؤمِنُ حقًّـا، الذي استحقَّ الثـوابَ وسَلِمَ من العِقَـاب، ومن انتقصَ منها شيئًـا نقص من إيمانه بقـدر ذلك. ولذلك كـان الإيمان يزيدُ بالطاعة وفعل الخير، وينقصُ بالمعصية و الشر.

ومن أُصـولِهم السعي والجدُّ فيما ينفعُ من أُمـور الـدِّين والـدُّنيا مع الاستعـانـة بالله. فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله.

وكـذلك يحقِّقـون الإخـلاص لله في جميـع حـركـاتهم، ويتَّبعـونَ رسـول الله في الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين أَتباع طريقهم.

فصـــل

ويشهدون أَنَّ محمـدًا عبدهُ ورسـوله أَرسلـه الله بالهُدىٰ وديـن الحقّ ليُظهره على الدِّينِ كله، وأَنَّه أَوْلىٰ بالمؤمنين من أَنْفُسِهِم، وهو خَاتَمُ النبيين، أُرسِلَ إلىٰ الإنسِ والجن بشيرًا ونـذيـرًا، وداعيًا إلىٰ اللهِ بـإذنـه وسراجًـا مُنيرًا، أَرسله بصـلاح الـدِّين وصلاح الدُّنيا، وليقوم الخلقُ بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك.

ويعلمون أَنَّـهُ أَعلمُ الخلْق وأَصدقُهُم وأَنصحهُم، وأَعظمهم بيانًا، فيعظمـونه ويحبـونـه، ويقـدمون محبتـه على محبـة الخلق كلهم، ويتبعـونـه في أُصـولِ دينهم وفروعه.

ويقدِّمون قوله وهديه على قول كل أَحد وهديه.

ويعتقـدون أَنَّ الله جمعَ لـه من الفضـائل والخصـائص والكمالات مـالم يجمعـه

لِأَحَد ، فهـو أَعلىٰ الخلْق مَقامًا وأَعظمُهُمْ جاهًـا ، وأَكْمَلُهُمْ في كل فضيلة ، لم يبقَ خيرٌ إلَّا دَلَّ أُمته عليه ، ولا شرٌّ إلَّا حذَّرهم منهُ .

وكَذلِكَ يـؤمِنُونَ بكُلِ كِتاب أَنْـزلَهُ الله ، وكل رسولٍ أَرسلهُ الله ، لا يُفـرِّقون بين أَحدٍ من رُسلِهِ .

ويؤمنـون بالقَدَرِ كُلِّـه ، وأَنَّ جميعَ أَعمالِ العبادِ ـ خيرهـا وشرِّها ـ قَـدْ أَحَاط بها علم الله ، وجـرىٰ بِهَا قَلَمهُ ، ونفذت فيهـا مشيئته ، وتعلَّقَتْ بِهَا حِكْمتـه ، حيثَ خَلقَ للعِبَـادِ قدرة وإرادة ، تقع بِها أَقـوالهم وأَفعـالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرهم على شيءٍ منهـا بل مختـارين لها ، وخصَّ المؤمنين بأَنْ حَبَّبَ إليهِمُ الإيمانَ وزَيَّنهُ في قلوبِهِم ، وكرَّه إليهمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصيانَ بِعدلِهِ وحكْمتِهِ .

ومِنْ أُصولِ أَهْلِ السُّنة : أَنَّهُم يَدينـونَ بالنَّصيحـةِ لله ، ولِكتابـه ، ورَسولِـهِ ، ولأَئمَّة المُسلمين وعامتهم ، ويأمـرون بالمعروف ، وينهون عنِ المُنكَرِ على مـا توجبه الشريعة ، ويأمـرون ببرِّ الوالدين وصِلةِ الأَرْحـام ، والإحسان إلىٰ الجيران والمماليك والمعامَلين ، ومن له حقٌّ ، وبالإحسان إلىٰ الخلقِ أَجمعين .

ويَـدْعـونَ إلىٰ مكَـارِمِ الأَخلاقِ ومحاسنهـا ، وينهـون عن مسـاوىء الأَخْـلاَقِ وأَرذلهَا .

ويعتقدُونَ أَنَّ أَكْملَ المؤمنينَ إيمانًا ويقينًا أَحسنهُـمْ أَعمالاً وأَخلاقًا ، وأَصدقهُمْ أَقوالاً ، وأَهْداهُمْ إلىٰ كُلِّ خير وفَضيلة ، وأَبعدهُمْ من كُلِّ رَذيلة .

ويَـأْمُـرونَ بـالقيامِ بشرائعِ الـدِّين ، على مـا جـاء عن نبيهم فيهـا وفي صِفَـاتها ومكملاتها ، والتحذير عن مُفسِداتِها ومنقصاتها .

ويرون الجِهَـاد في سبيلِ الله ماضيًـا مع البرِّ والفاجـر ، وأَنه ذروةُ سَنَـامِ الدِّين ، جهاد العلم والحجـة ، وجهادُ السِّـلاحِ ، وأَنَّهُ فَرضٌ على كُلِّ مُسْلِـم أَن يُدَافعَ عن الدِّينِ بِكُلِّ ممكن ومُسْتَطَاع .

ومن أصـولهِم الحثُّ على جمع كلمة المسلمين، والسّعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتّحذير من التّفرُّقِ والتعادي والتباغُضِ والعملُ بكل وسيلة توصل إلىٰ هذا.

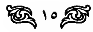
ومن أُصولهِم النهي عن أَذية الخلقِ في دمائهم وأَموالهِم وأَعراضِهم وجميع حقوقهم، والأَمرُ بالعدْلِ والإِنصاف في جميع المعاملات، والنّدْبُ إِلىٰ الإِحْسَانِ والفضلِ فيها.

ويؤمِنُونَ بأَنَّ أَفضلَ الأُمم أُمَّة محمد ﷺ، وأَفضلهم أَصحَاب رَسول الله ﷺ خصوصًا الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ والعشرةُ المشهودُ لهم بالجنَّة، وأَهل بَدْر، وبيعة الرضوان والسّابقون الأَوّلون من المُهَاجِرين والأَنْصَار. فيحبُّون الصحابة ويدينون لله بذلك.

وينشرون محاسِنَهُمْ ويسكتون عمّا قيلَ عن مساوئهم.

ويدينون لله باحترام العُلَمَاء الهداة وأَئمة العدل، ومَن لهم المقاماتُ العاليةُ في الدِّين والفضلِ المتنوع على المسلمين، ويَسْأَلُونَ الله أَن يُعيذهُمْ من الشَّكِّ والشِّرْكِ والشِقاقِ والنفاقِ وسُوء الأَخلاقِ، وأَن يُثبِّتَهُم على دينِ نبيهم إِلىٰ المماتِ.

هذه الأُصول الكليَّة بها يؤمنُونَ ولها يعتقدون، وإِليها يدعون.



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقولُ الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]

قال ابنُ مسعود: من أرادَ أن يَنْظُر إلى وصِيَّـة محمد ﷺ التي عليهَا خاتَمُهُ فلْيقْرأ قوله تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾. الآية[1].

وعن مُعَاذِ بن جبل رَضي الله عنــه، قــال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يـا مُعاذُ، أَتـدري مـا حقُّ الله على العبـادِ، وما حقُّ العبـادِ على الله»؟ قُلتُ: الله ورسـولُه أعلمُ؛ قـال: «حقُّ الله على العبـادِ أن يَعبـدوُه ولا يُشرِكوا بـه شيئًا، وحق العبـادِ على الله أن لا يُعذِّبَ من لا يُشركُ بـهِ شيئًا»، قلت: يا رسول الله، أفلاَ أُبشِّرُ الناس؟ قال: «لاتُبشِّرهُم فيَتَّكلوا». أَخرجاهُ في الصحيحين[2].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** الحكمةُ في خلقِ الجنِّ والإنس.
- **الثانية:** أَنَّ العبادة هي التوحيد: لأَنَّ الخصومة فيه.
- **الثالثة:** أَنَّ مَن لَم يَأْتِ به لم يَعبُدِ الله، ففيه معنى قوله:
  ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣].
- **الرابعة:** الحكمةُ في إرسالِ الرُّسُلِ
- **الخامسة:** أَنَّ الرسالة عمَّت كلَّ أُمَّة.
- **السادسة:** أَنَّ دينَ الأنبياء واحد.
- **السابعة:** المسألة الكبيرة: أَنَّ عبادة الله لاتَحصُلُ إلَّا بالكُفْرِ بالطَّاغوت، ففيه

---

(١) رواه الترمذي (السنن) ٥/ ٢٦٤ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة الأنعام) حديث رقم ٣٠٧٠ وقال: هذا حديث حسن غريب وفي إسناده (داود الأودي) وهو داود بن يزيد الأودي قال فيه ابن حجر في (التقريب) ١/ ٢٣٥: ضعيف. اهـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار (٣/ ١٠٤٩) حديث رقم (٢٧٠١). ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٥٨) حديث رقم (٣٠).

معنى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ الآية [البقرة : ٢٥٦].

- **الثامنة:** أنَّ الطاغوت عام في كل ما عُبِدَ من دون الله .
- **التاسعة:** عِظَم شَأن ثلاث الآيات المُحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل .

  أولاها : النهي عن الشرك .
- **العاشرة:** الآياتُ المحكمات في سورة الإسراء .

  وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله :

  ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء : ٢٢].

  وختمها بقوله :

  ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٩].

  ونبّهنا الله سبحانه على عِظَم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٣٩].
- **الحادية عشرة:** آية سورة النساء التي تُسمَّى آية الحقوق العشرة، بدأها الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء : ٣٦].
- **الثانية عشرة:** التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .
- **الثالثة عشرة:** معرفة حقّ الله علينا .
- **الرابعة عشرة:** معرفة حقّ العباد عليه إذا أدَّوا حقه .
- **الخامسة عشرة:** أنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .
- **السادسة عشرة:** جواز كتمان العلم للمصلحة .
- **السابعة عشرة:** استحباب بشارة المسلم بما يسره .
- **الثامنة عشرة:** الخوف من الاتّكال على سعة رحمة الله .
- **التاسعة عشرة:** قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

• **العشـــرون:** جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .
• **الحادية والعشرون:** تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه .
• **الثانية والعشرون:** جواز الإرداف على الدَّابة .
• **الثالثة والعشرون:** فضيلة مُعاذ بن جبل .
• **الرابعة والعشرون:** عِظَم شأن هذه المسألة .

[التعليـــق :]

□ كتـــاب التوحيـــد :

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أولِه إلىٰ آخره .

ولهذا استُغني بها عن الخطبــة ، أَي أَنَّ هــذا الكتـاب يشتمـل على تـوحيـد الإلـٰهية والعبـادة بذكر أَحكـامه ، وحدوده وشروطه ، وفضلـه وبراهينه ، وأُصـوله وتفـاصيله ، وأَسبـابـه وثمراتـه ومقتضياتـه ، ومـا يزداد بـه ويقـويه ، أَو يضعِّفـه ويوهيه ، وما به يتم أَو يكمل .

اعلم أَنَّ التـوحيـد المطلق : العلـم والاعتراف بتفـرُّد الـربِّ بصفـات الكمال ، والإِقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإِفراده وحده بالعبادة .

وهو ثلاثة أَقسام :

- أَحدها : توحيد الأَسماء والصفات :

وهو اعتقاد انفراد الربِّ ـ جلَّ جلالـه ـ بالكمال المُطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمةِ ، والجلال والجمال التي لا يشـاركه فيها مُشَـارِكٌ بوجهٍ من الـوجوه ، وذلك بـإِثبات مـا أَثبتـه الله لنفسه ، أَو أَثبتـه لـه رسولـه ﷺ من جميع الأَسماء والصفـات ومعانيها وأَحكامهـا الواردة في الكتاب والسنة على الوجه الـلائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيءٍ منها ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تمثيلٍ .

ونَفي ما نفاهُ عن نفسه أو نفاهُ عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كلِّ ما ينافي كمالَهُ.

- الثاني : توحيد الربوبية :

بأنْ يعتقِد العبدُ أَنَّ الله هو الربّ المُتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم وربَّى خواص خلقه - وهم الأنبياء وأتباعهم - بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدّارين.

- الثالث : توحيد الإلـٰهية ويُقال له توحيد العبادة :

وهو العلم والاعتراف بأَنَّ الله ذو الأُلوهيـة والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدِّين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأوّلين ويتضمنها، لأَنَّ الأُلوهيـة التي هي صِفة تعُمّ أوصَاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلىٰ خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرُّده بالربوبية يلزم منه أَنْ لا يستحقَّ العِبادة أحدٌ سواه.

* ومقصود دعوة الرسل من أوّلهم إلىٰ آخرهم : الدعوة إلى هذا التوحيد.

فـذكـرَ المُصنِّف في هذه الترجمة من النصوص ما يدلُّ على أَنَّ الله خلقَ الخلقَ لعبادته والإخلاص له، وأَنَّ ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلىٰ هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصًا محمد ﷺ.

وهذا القرآن الكريم، فإِنَّهُ أَمرَ به وفرضه وقرَّره أعظم تقرير، وبيَّنه أعظمَ بيان، وأخبر أنَّـهُ لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأَنَّ جميع الادلَّة العقلية والنقلية والأُفقية والنفسية أدلَّة وبراهين على هذا الأَمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فـالتوحيـد هـو حقّ الله الواجب على العبيـد ، وهـو أَعظم أَوامر الـدين وأَصل الأُصول كلها ، وأَساس الأَعمال .

بـــاب
فضل التَّوْحيدِ وما يُكَفِّرُ من الذنوب

وقولِ الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢].

عن عُبَادة بن الصامت قـال : قال رسول الله ﷺ : «من شَهِدَ أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحـدهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عبـدهُ ورسولُـهُ، وأنَّ عيسىٰ عبـدُ الله ورسولـه، وكلمتُه أَلْقَاهَا إلىٰ مريمَ ورُوحٌ مِنْـهُ، والجَنَّة حقٌّ، والنَّارَ حقٌّ، أَدْخلَهُ الله الجنَّة على ما كانَ من العمل». أَخْرجَاه[1].

ولهما في حديث عِتْبَانَ : «فإنَّ الله حـرَّمَ على النار من قـالَ لا إلـٰه إلاَّ الله يبتغي بذلكَ وجْهَ الله»[2].

وعن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه، عـن رسول الله ﷺ قال : «قال موسى عليه السلام : يـا ربِّ عَلِّمني شيئًا أَذكُرُكَ وأَدْعُوكَ به، قال : قُلْ يـا موسى لا إلـٰه إلاَّ الله، قال : يـا ربِّ كلُّ عبادك يقولون هـذا. قال : يا موسى لـو أَنَّ السَّمـٰواتِ السبعَ وعـامرَهُنَّ غيري والأَرْضين السَّبع في كِفَّـةٍ، ولا إلـٰه إلاَّ الله في كِفَّةٍ، مـالتْ بهنَّ لا إلـٰه إلاَّ الله». رواه ابن حِبَّانَ والحاكم وصَححهُ[3].

---

(١) رواه البخاري : كتـاب الأَنبياء بـاب قـولـه تعـالىٰ : ﴿يـا أهل الكتـاب لا تغلـوا في دينكم﴾ (٣/ ١٢٦٧) حديث رقم (٣٢٥٢). ومسلم : كتـاب الإيمان، باب الـدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٥٧). حديث رقم (٢٨).

(٢) جزء من حـديث رواه البخاري : كتاب الصـلاة، باب المساجـد في البيوت (١/ ١٦٤) حديث رقم (٤١٥). ومسلم : كتـاب المساجد ومـواضع الصلاة بـاب الرخصة في التخلّف عن الجماعة بعذر (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) حديث رقم (٣٣).

(٣) رواه ابن حبـان (مـوارد الظمآن) ص٥٧٧ حـديث رقم (٢٣٢٤) والحاكم (المستـدرك) ١/ ٥٢٨ وقـال : هذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجـاه. وقـال الذهبي : صحيح وفي تصحيح إسنـاده نظـر، لأنـه من روايـة دراج عن أبي الهيثم وهي روايـة متكلم فيهـا، قـال ابـن حجـر (تقـريب التهذيب) ١/ ٢٣٥ : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف. اهـ).

وللترمذي ــ وحسَّنهُ ــ عن أنس: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ياابنَ آدم، لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثُم لَقِيتني لا تُشرِكُ بي شيئًا: لأتيْتُكَ بقُرابِهَا مغفِرةً»[1].

□ فيه مسائل:

• **الأولى:** سِعة فضل الله.

• **الثانية:** كثرة ثواب التوحيد عند الله.

• **الثالثة:** تكفيره مع ذلك للذنوب.

• **الرابعة:** تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

• **الخامسة:** تأمَّل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.

• **السادسة:** أنكَ إذا جمعتَ بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيَّنَ لك معنى قول: «لا إلـه إلاَّ الله» وتبيَّن لك خطأ المغرورين.

• **السابعة:** التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

• **الثامنة:** كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إلـه إلاَّ الله».

• **التاسعة:** التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أنَّ كثيرًا ممن يقولها يخفُّ ميزانه.

• **العاشرة:** النصّ على أنَّ الأرضين سبع كالسمـٰوات.

• **الحادية عشرة:** أنَّ لهُنَّ عمَّارًا.

• **الثانية عشرة:** إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

• **الثالثة عشرة:** أنكَ إذا عرفتَ حديث أنس عرفتَ أنَّ قوله في حديث عتبان: «فإنَّ الله حرَّمَ على النار من قال لا إلـه إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله». أنَّه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

• **الرابعة عشرة:** تأمَّل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

---

(١) (سنن الترمذي) ٥/ ٥٤٨ (كتاب الدعوات) (باب فضل التوبة والاستغفار. . .) حديث رقم (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي (تحفة الأشراف) ١/ ١٠٢ قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

• **الخامسة عشرة:** معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

• **السادسة عشرة:** معرفة كونه روحًا منه .

• **السابعة عشرة:** معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

• **الثامنة عشرة:** معرفة قوله : «**على ما كان من العمل**» .

• **التاسعة عشرة:** معرفة أَنَّ الميزان له كفتان .

• **العشرون:** معرفة ذكر الوجه .

[التعليق :]

بـاب :

فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب :

* لَمَّا ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأَنَّه الفرض الأَعظم على جميع العبيد، ذكرَ هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شيء من الأَشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة، مثل التوحيد. فإِنَّ خير الدُّنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله .

* فقول المؤلِّف رحمه الله : (وما يُكفِّر من الذنوب) من باب عطْفِ الخاص على العام، فإِنَّ مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثارِه كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة .

* **ومن فضائلِهِ:** أَنَّه السببُ الأَعظم لتفريج كربات الدُّنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

ومن أَجلِّ فوائده أَنَّهُ يمنع الخلود في النار. إذا كان في القلب منه أَدنىٰ مثقال حبَّة خَردَلٍ .

وأَنَّهُ إِذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة .

* ومنهــا : أنّـه السبب الـوحيد لنيل رضـا الله وثـوابـه ، وأنّ أسعدَ النـاس بشفاعة محمد ﷺ من قالَ لا إلـه إلاّ الله خالصاً من قلبه .

* ومِنْ **أعظَم فضائله** : **أنّ** جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبـولها وفي كمالها وفي تـرتُّب الثـواب عليهـا على التوحيـد ، فكلّما قـوي التـوحيـد والإخلاص لله كمُلَتْ هذه الأمور وتمت .

* ومن **فضائله** : **أنّهُ** يُسهِّل على العبدِ فعل الخير وترك المنكرات ويسلّيه عن المصيبـات ، فالمُخلِص لله في إيمانـهِ وتوحيـده تخف عليـه الطّاعـات لما يرجـو من ثواب ربِّه ورضـوانه ، ويهون عليه ترك مـا تهواه النفس من المعاصي ، لما يخشى من سخطِهِ وعقابِهِ .

* ومنهـا : **أنّ** التوحيـد إذا كَمُلَ في القلب حبَّبَ الله لصاحبـه الإيمان وزيَّنَهُ في قلبه ، وكرَّه إليه الكفرَ والفسوقَ والعصيان ، وجعله من الراشدين .

* ومنهـا : **أنّهُ** يُخَفِّفُ عن العبد المكاره ويهوِّنُ عليه الآلام . فبحسب تكميل العبـدِ للتــوحيـد والإيمان ، يتلقى المكـاره والآلام بقلـبٍ منشرحٍ ونفسٍ مطمئنـةٍ وتسليمٍ ورضاً بأقدار الله المؤلمة .

* ومن **أعظم فضـــائلـه** : **أنّـهُ** يحرِّر العبـدَ مـن رِق المخلـوقين والتعلُّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلِهِم ، وهذا هو العِزُّ الحقيقي والشرف العالي .

ويكون مع ذلك متألِّهاً متعبداً لله ، لا يـرجو سواه ولا يخشىٰ إلاّ إيّاه ، ولا ينيب إلاّ إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه .

* ومن **فضـائلـه التي لا يلحقـه فيهـا شيء** : أن التـوحيـد إذا تمَّ وكمُلَ في القلْبِ وتحقّقَ تحقُّقـاً كامِلاً بـالإخلاص التـام فإنّهُ يصير القليـل من عمله كثيراً ، وتُضاعف أعمالـه وأقواله بغير حصرٍ ولا حِساب ، ورجحت كلمـة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تُقَابِلهـا السموات والأرض وعمّارُها من جميع خلقِ الله كما في

حديث أَبي سعيـد المذكور في الترجمة، وفي حديـث البطاقة التي فيهـا لا إلـٰه إلَّا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الـذنوب، كل سجل يبلغ مدّ البصر. وذلك لكمال إخـلاص قائلهـا، وكم ممن يقولها لا تبلغ هـذا المبلغ، لأَنَّه لم يكن في قلبـه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قامَ بقلبِ هذا العبد.

* **ومن فضائل التوحيد**: أَنَّ الله تكفَّلَ لِأَهلِهِ بالفتحِ والنصرِ في الـدُّنيا والعز والشرف وحصول الهدايـة والتيسير لليُسرىٰ وإِصْلاح الأَحوال والتسديـد في الأَقوال والأَفعال.

* **ومنهــا**: أَنَّ الله يدافع عن الموحِّدينَ أَهلِ الإِيمان شرور الـدنيا والآخرة، ويمن عليهم بـالحياة الطيبـة والطمأنينـة إِليه والطمأنينـة بـذكره، وشـواهد هـذه الجمل من الكتاب والسُّنَّة كثيرة معروفة والله أَعلم.

بـــاب :

مَن حقَّقَ التوحيد دخلَ الجنَّة بغير حساب

وقولِ الله تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠].

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩].

عن حُصَين بن عبدالرحمن قال : كُنـتُ عِندَ سعيدِ بن جُبَيْرٍ، فقال : أيُّكُمْ رأىٰ الكوكب الذي انقضَّ البارِحـة؟ فقلت : أنا ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لم أَكُنْ في صلاةٍ، ولكنِّي لُدِغْتُ ، قـال : فما صنعت؟ قلتُ : ارتقيت . قال : فما حملكَ على ذلك؟ قلت : حديث حدَّثناهُ الشعبيّ ، قال : وما حـدَّثكم؟ قلت : حدَّثنا عن بُريدة بن الحُصيْبِ أنَّهُ قـال : «لا رُقْيَةَ إلاَّ من عَينٍ أو حُمةٍ» . قـال : قد أَحْسنَ من انتهىٰ إلىٰ مَا سَمِعَ ، ولكن حدَّثنا ابـن عباس عن النبي ﷺ أنَّه قال : **«عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فرأيتُ النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحدٌ ، إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ، فظننتُ أنَّهُمْ أُمَّتي ، فقيل لي : هـذا موسى وقومُـه ، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيـل لي : هذه أُمَّتُك . ومعهم سبعون ألفاً يـدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب»**[1] .

ثم نهضَ فـدخلَ منزلـه ، فخـاض الناسُ في أولئكَ . فقـال بعضُهُم : فلعلَّهم الذين صَحِبُـوا رَسُولَ الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولـدوا في الإسلام ، فلم يشركـوا بـالله شيئًا ، وذكـروا أَشيـاء ، فخرجَ عليهـم رسول الله ﷺ فـأَخبروهُ .

---

(١) رواه البخاري في (الصحيح) ٣/ ١٢٥١ (كتاب الأنبياء) (باب وفاة موسى وذكره بعده) . حديث رقم ٣٢٢٩ ولم يسق لفظـه . وفي (كتـاب الطب) (بـاب من اكتـوى أو كـوى غيره وفضل من لم يكتو) . ٥/ ٢١٥٧ حديث رقم (٥٣٧٨) وفي مواضع أخرى .
ورواه ـ أيضاً ـ مسلم في (الصحيح) ١/ ١٩٩ (كتاب الإيمان) (باب الدليـل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) . حديث رقم (٢٢٠) واللفظ المذكور له .

فقال: «هُمُ الـذين لا يَسْتَرْقُـونَ ولا يَكْتُوون ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتـوكَّلُـون». فقَامَ عُكَّـاشةُ بن مِحصَن، فقـال: ادْعُ الله أَن يجعلني منهم، قال: «أَنتَ منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أَن يجعلني منهم فقال: «سَبَقكَ بها عُكاشةُ».

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـــى**: معرفة مراتب الناس في التوحيد.
- **لثانيـــة**: ما معنى تحقيقه؟.
- **الثالثـــة**: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يَكُ من المشركين.
- **الرابعـــة**: ثناؤه على سادات الأَولياء بسلامتهم من الشرك.
- **الخامسـة**: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.
- **السادسة**: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكُّل.
- **السابعـة**: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أَنَّهم لم ينالوا ذلك إلاّ بعمل.
- **الثامنـة**: حرصهم على الخير.
- **التاسعـة**: فضيلة هذه الأُمة بالكمية والكيفية.
- **العاشـرة**: فضيلة أَصحاب موسى.
- **الحادية عشرة**: عرض الأُمم عليه، عليه الصلاة والسلام.
- **الثانية عشرة**: أَنَّ كُل أُمَّة تُحشَر وحدها مع نبيها.
- **الثالثـة عشرة**: قلة من استجاب للأَنبياء.
- **الرابعـة عشرة**: أَنَّ من لم يُجِبه أَحدٌ يأتي وحده.
- **الخامسة عشرة**: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.
- **السادسة عشرة**: الرخصة في الرقيةِ من العينِ والحُمَةِ.
- **السابعة عشرة**: عمقُ علمِ السلفِ لقوله: قد أَحسنَ من انتهى إِلىٰ ما سمع ولكن كذا وكذا. فعَلِمَ أَنَّ الحديث الأَول لا يخالف الثاني.
- **الثامنة عشرة**: بُعد السلف عن مدحِ الإِنسان بما ليس فيه.
- **التاسعة عشرة**: قوله: «أَنتَ منهم» علم من أَعلام النبوة.

• **العشــــــرون** : فضيلة عكاشة .

• **الحادية والعشرون** : استعمال المعاريض .

• **الثانية والعشرون** : حسنُ خُلقِهِ ﷺ .

[التعليــــق :]

بـــــاب :

من حقق التوحيد دخلَ الجنَّة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابعٌ له .

فـإنَّ تحقيق التوحيـد تهذيبه وتصفيتـه من الشركِ الأكبر والأصغر، ومن البـدع القـوليـة الاعتقـاديـة ، والبـدع الفعليــة العمليــة ، ومن المعـاصي ، وذلك بكمال الإخـلاص لله في الأقـوال والأفعـال والإرادات ، وبــالسـلامـة من الشرك الأكبر المناقض لأصلِ التوحيد، ومن الشركِ الأصغر المنافي لكماله ، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تُكدِّر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره .

فمن حقَّق توحيده بـأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخـلاص ، وصدقته الأعمال بأن انقـادت لأوامر الله طـائعة منيبـة مخبتة إلىٰ الله ولم يجرح ذلـك بالإصرار على شيء من المعـاصي ، فهـذا الـذي يـدخـل الجنة بغير حسـاب ، ويكـون من السابقين إلىٰ دخولها وإلى تَبوُّء المنازل منها .

ومن **أخصّ ما يـدل على تحقيقه** : كمال القنوت لله وقـوة التوكُّل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شـؤونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبه ، ولا يسألهم بلسـان مقاله أو حـاله ، بل يكـون ظاهـره وباطنـه وأقوالـه وأفعالـه وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله ، متبعاً فيها رسول الله .

والناس في هذا المقام العظيم درجات : **﴿ولكلٍّ درجات مما عملوا﴾** .

وليسَ تحقيق التوحيـد بالتمني ولا بالـدعاوى الخالية من الحقـائق ، ولا بالحلى العـاطلـة ، وإنَّما ذلك بما وقـرَ في القلــوب من عقـائد الإيمان وحقـائق الإحسـان

وصدقته الأَخلاق الجميلة، والأَعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأَكملها والله أَعلم.



بـــاب :
الخـــوف من الشـــرك

وقول الله عز وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

[النساء : ٤٨]

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

وفي الحديث : **«أَخْوف ما أَخـافُ عليكم الشِّركُ الأَصغر»**، فسُئِلَ عنه فقال : **«الرياء»**[(١)] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنـه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«مَن ماتَ وهو يدعو من دون الله نِدًّا دَخلَ النار»**. رواه البخاري[(٢)] .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنـه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«مَن لَقيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً دخَلَ الجنة ، ومن لقيَهُ يشرك به شيئاً دخلَ النار»**[(٣)] .

☐ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولى :** الخوف من الشرك .
- **الثانية :** أَنَّ الرياءَ من الشركِ .
- **الثالثة :** أَنَّه من الشركِ الأَصغرِ

---

(١) رواه الإمـام أحمد (المسند) ٥/ ٤٢٨ و٢٤٩ والبغـوي في (شرح السنة) ١٤/ ٣٢٣ ـــ ٣٢٤ حديث رقم (٤١٣٥) من طريقين عن محمـود بن الربيع قـال المنذري (الترغيب والترهيب) ١/ ٥٧ (رواه أحمد بإسناد جيـد) . وقال ابن حجر في (بلـوغ الحرام) ص٣٠٢ : (أخرجـه أحمد بإسناد حسن . اهـ) .

(٢) رواه البخـاري : كتـاب التفسير بـاب قـولـه : ومن النـاس من يتخـذ مـن دون الله أنـداداً، (٤/ ١٦٣٦) حديث رقم (٤٢٢٧) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان بـاب من مات لا يشرك بالله شيئـاً دخل الجنة ومن مـات مشركاً دخل النار (١/ ٩٤) حديث رقم (٩٣) .

- **الرابعة** : أَنَّهُ أَخوف ما يخافُ منهُ على الصالحين .
- **الخامسة** : قربُ الجنةِ والنارِ.
- **السادسة** : الجمعُ بينَ قربهما في حديثٍ واحدٍ .
- **السابعة** : أنَّه من لقيه لا يشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنة ، ومن لقيه يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النار، ولو كان من أَعبدِ الناسِ .
- **الثامنة** : المسألة العظيمةُ سؤالُ الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادةِ الأَصنامِ .
- **التاسعة** : اعتبارُه بحالِ الأَكثرِ لقوله :
  ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .
- **العاشرة** : فيه تفسيرُ (لا إِلـٰه إِلاَّ الله) كما ذكره البخاري .
- **الحادية عشرة** : فضيلة من سلِمَ من الشركِ .

[التعليق :]

باب :

الخوف من الشرك

الشركُ في توحيد الإِلـٰهية والعبادة ينافي التوحيد كلَّ المنافاة وهو نوعان : شركٌ أَكبر جلي ، وشركٌ أَصغر خفي .

فأمّا الشرك الأكبر :

فهو أَن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله أَو يخافه أَو يرجوه أَو يحبّه كحبّ الله ، أَو يصرف له نوعاً من أَنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقىٰ مع صاحبه من التوحيد شيء ، وهذا المُشرِكُ الذي حرَّمَ الله عليه الجنة ومأواه النار.

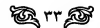
ولا فرقَ في هذا بين أَن يُسمِّي تلكَ العبادة التي صرفَهَا لغير الله عبادة ، أَو يسميها توسّلاً ، أَو يسميها بغير ذلك من الأَسماء فكل ذلك شرك أَكبر ، لأَنَّ العبرة بحقائق الأَشياء ومعانيها دون أَلفاظها وعباراتها .

وأما الشرك الأصغر :

فهـو جميع الأَقوال والأَفعـال التي يتـوسَّل بها إِلىٰ الشرك ، كـالغلوّ في المخلـوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة ، وكالحلفِ بغير الله ويَسيرُ الرياء ونحو ذلك.

فإِذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخـول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إِذا كان أَكبر، ولا تتحقّق السعادة إِلاَّ بالسلامة منه ، كان حقًّا على العبدِ أَن يخافَ منه أَعظمَ خوف وأَن يسعى في الفرار منه ومن طـرقه ووسائله وأَسبابه ، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأَنبياء والأَصفياء وخيار الخلق .

وعلى العبدِ أَن يجتهدَ في تنمية الإِخلاص في قلبه وتقويته ، وذلكَ بِكمال التعلُّق بالله تألهاً ، وإِنابةً وخوفاً ورجاءً وطمعاً وقصداً لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأُمور الظاهرة والبـاطنة ، فإِنَّ الإِخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأَكبر والأَصغر، وكلُّ من وقعَ منه نوع من الشرك فلضعفِ إِخْلاصِهِ .



بـــاب:

الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إلـه إلاّ الله

وقولِ الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعثَ مُعاذاً إلىٰ اليمن ، قال له «إِنَّكَ تأتي قوماً من أَهلِ الكتاب ، فليكُن أَولَ ما تدعوهم إليه شهادة أَن لا إلـٰه إلاّ الله ـ وفي رواية ـ : «إلىٰ أَن يوحِّدوا الله» فإنْ هم أَطاعوكَ لذلكَ فأَعلِمهم أَنَّ الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كلِّ يوم وليلةٍ ، فإنْ هُمْ أَطاعوكَ لِذلِكَ ، فأَعلمهم أَنَّ الله افترَض عليهم صدَقةً تؤخذُ من أَغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم ، فإنْ هم أَطاعوكَ لذلك ، فإيَّاكَ وكرائم أَموالهم ، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم ، فإنَّـهُ ليسَ بينها وبينَ اللهِ حِجاب» . أَخرجاه[1] .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أَنَّ رسول الله ﷺ قال يومَ خَيبرَ: «لأُعطِيَنَّ الراية غداً رجُلاً يُحبُّ اللهَ ورسولَه ، ويحبُّه اللهُ ورسولُـهُ ، يفتح الله على يديه» . فباتَ الناسُ يَدُوكُون ليلتهم ، أَيُّهم يُعطاها ، فلما أَصبحوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أَن يُعطاها ، فقال : « أَينَ عليُّ بن أَبي طالب» ؟ . فقيل : هو يَشْتَكي عينيه ، قال : فأَرسلوا إليه ؛ فأُتِيَ به ، فبصقَ في عينيه ودعا له ، فبرأ كأَن لم يكن به وجع ، فأَعطاهُ الرايةَ ، فقال : «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنـزِلَ بساحتهم ، ثم ادْعُهم إلى الإِسلام ، وأَخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى

---

(١) رواه البخاري : كتاب المغازي باب بعث أَبي موسىٰ ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤/ ١٥٨٠) حديث رقم (٤٠٩٠) ومسلم : كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠) حديث رقم (١٩) .

فيه، فوالله لأن يَهديَ الله بكَ رجلاً واحِداً خيرٌ لك من حُمْرِ النّعَمْ»[١]. يَدُوكُون: أي يخوضون.

□ فيـــه مســـائل

• **الأولـــى:** أنَّ الدعوة إلىٰ الله طريق من اتَّبعَ رسولَ الله ﷺ.

• **الثـانيـة:** التنبيه على الإخلاص، لأنَّ كثيراً من النـاس لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه.

• **الثـالثـة:** أنَّ البصيرة من الفرائض.

• **الـرابعـة:** من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيه الله تعالى عن المسبَّة.

• **الخامسـة:** أنَّ من قبح الشرك كونه مسبَّة لله.

• **السادسة:** ـ وهي من أهمهـا ـ: إبعـادُ المسلم عن المشركينَ لئلا يصيرَ منهم ولو لم يشرك.

• **السابعـة:** كونُ التوحيدِ أول واجبٍ.

• **الثـامنـة:** أنه يبدأُ به قبل كل شيءٍ حتى الصلاة.

• **التـاسعـة:** أنَّ معنى: «**أن يوحدُوا الله**» معنى شهادة: أن لا إلٰه إلاَّ الله.

• **العـاشرة:** أنَّ الإنسان قـد يكونُ من أهل الكتاب وهـو لا يعرفها، أو يعـرفها ولا يعمل بها.

• **الحاديـــة عشرة:** التنبيه على التعليم بالتدريج.

• **الثـــانيـــة عشرة:** البداءةُ بالأهمّ فالأهمّ.

• **الثــالثـــة عشرة:** مصرِف الزكاة.

• **الـــرابعـــة عشرة:** كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣/ ١٣٥٧) حديث رقم (٣٤٩٨). ومسلم: كتاب فضـائل الصحابـة باب من فضـائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤/ ١٨٧٢) حديث رقم (٢٤٠٦).



- **الخامسة عشرة:** النهي عن كرائم الأموال.
- **السادسة عشرة:** اتقاء دعوة المظلوم.
- **السابعة عشرة:** الإخبار بأنَّها لا تُحجب.
- **الثامنة عشرة:** من أدلَّة التوحيد ما جرىٰ على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقَّة والجوع والوباء.
- **التاسعة عشرة:** قوله: «**لأُعطينَّ الراية**». إلخ. علمٌ من أعلام النبوة.
- **العشرون:** تفله في عينيه علمٌ من أعلامِها أيضاً.
- **الحادية والعشرون:** فضيلة علي رضي الله عنه.
- **الثانية والعشرون:** فضل الصحابة في دوكهم تلكَ الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح.
- **الثالثة والعشرون:** الإيمان بالقَدرِ، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعها عمَّن سعىٰ.
- **الرابعة والعشرون:** الأدب في قوله: «**على رسلك**».
- **الخامسة والعشرون:** الدعوة إلىٰ الإسلام قبل القتال.
- **السادسة والعشرون:** أنَّه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.
- **السابعة والعشرون:** الدعوة بالحكمة لقوله: «**أَخبرهم بما يجب عليهم**».
- **الثامنة والعشرون:** المعرفة بحقِّ الله في الإسلام.
- **التاسعة والعشرون:** ثواب من اهتدىٰ على يديه رجلٌ واحدٌ.
- **الثلاثون:** الحلف على الفُتيا.

[التعليق:]

باب:

الدعاء إلىٰ شهادة أنْ لا إلـٰه إلَّا الله

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأبواب في غاية المناسبة، فإنَّه ذكرَ في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحثّ عليه وعلى تكميله، والتحقُّق

به ظاهراً وباطناً، والخوف من ضدِّه، وبذلك يكمل العبد نفسه.

ثم ذكرَ في هذا الباب تكميله لغيره بالـدعوة إلىٰ شهادة (أن لا إلـٰه إلاَّ الله) فإنَّه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مـراتبه ثم يسعىٰ في تكميل غيره ـ وهذا هو طريق جميع الأنبيـاء ـ فـإنَّهُم أول ما يدعـون قومهم إلىٰ عبـادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقـة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنَّه قامَ بهذه الدعـوة أَعظمَ قيام ودعا إلىٰ سبيلِ ربـه بـالحكمـة والموعظة الحسنـة والمجـادلـة بـالتي هي أَحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أَقـام الله بـه الـدِّين، وهدىٰ بـه الخلق العظيم، ووصلَ دينـه ببركـة دعوتـه إلىٰ مشارق الأَرض ومغاربها، وكـان يدعو بنفسـه ويأمر رُسُله وأَتبـاعه أَن يـدعوا إلى الله وإلى تـوحيده قبل كل شيء، لأَن جميع الأَعمال متـوقفة في صحتهـا وقبولها على التوحيد.

فكمَا أَنَّ على العبدِ أَنْ يقوم بتـوحيد الله فعليه أَن يدعـو العباد إلىٰ الله بالتي هي أَحسن، وكل من اهتـدىٰ على يـديـه فلـه مثل أُجـورهم من غير أَن ينقص من أُجورِهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلىٰ الله، وإلىٰ شهادة أَنْ لا إلـٰـه إلاَّ الله فرضاً على كل أَحد، كان الواجب على كل أَحد بحسب مقدوره.

فعلىٰ العالم من بيـان ذلك والدعـوة والإرشـاد والهداية أَعظم ممـا على غيره ممن ليس بعالم.

وعلى القادر ببدنـه ويده أَو مالـه أَو جاهه وقـوله أَعظم ممـا على من ليست له تلك القدرة.

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ورحمَ الله من أَعانَ على الدِّين ولـو بشطر كلمة، وإنَّما الهلاك في تـرك ما يقـدر عليه العبد من الـدعوة إلىٰ هذا الدِّين.

بــاب
تفسير التوحيد وشهادة أنْ لا إلـه إلاَّ الله

وقـول الله تعـالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

(وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨] .

وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [التوبة : ٣١]

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنَّـه قال : «**من قـالَ لا إلـه إلاَّ الله ، وكفـرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله حرُمَ ماله ودمُه ، وحسابهُ على الله عز وجل**»[1] .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسـائل وأهمها . وهـي تفسير التوحيـد وتفسير الشهادة . وبيَّنهما بأمور واضحة :

* منهـــا : آيـة الإسراء . بيَّنَ فيهـا الردّ على المشركين الـذين يـدعـونَ الصالحين ، ففيها بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر .

* ومنهـــا : آية براءة بيَّنَ فيها أنَّ أهلَ الكتـابِ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دونِ الله .

---

(١) رواه مسلم : كتـاب الإيمان باب الأمـر بقتال الناس حتـى يقولـوا لا إلـه إلاَّ الله محمـد رسول الله ويقيموا الصلاة . . . إلخ (١/ ٥٣) حديث رقم (٢٣) .

وبيّن أنّهم لم يؤمروا إلاّ بأن يعبدوا إلٰهًا واحدًا مع أنّ تفسيرها الذي لا إشكالَ فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إيّاهم.

* ومنهـا : قولُ الخليل عليه السلام للكفّار:

﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧].

فاستثنى من المعبودين ربَّه.

وذكَرَ سُبحانَهُ أنَّ هـذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إلٰه إلاَّ الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف : ٢٨].

* ومنهـا : آية البقرة في الكُفَّار الذين قالَ الله فيهم:

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ١٦٧].

ذكرَ أنّهم يحبون أندادهم كحبِّ الله، فدلَّ على أنّهم يحبون الله حبًّا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام، فكيفَ بِمَن أحبَّ النـدَّ أكبرَ من حبِّ الله؟ وكيفَ بمَنْ لم يُحبَّ إلاَّ الندّ وحده ولم يُحبَّ الله؟

*** ومنهـا : قوله ﷺ: «من قالَ لا إلٰه إلاَّ الله وكفر بما يُعبدُ من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».**

وهذا من أعظم ما يبين معنى: **«لا إلٰه إلاَّ الله»** فإنّـه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لايدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلىٰ ذلك الكُفر بما يُعبَدُ من دون الله، فإنْ شكَّ أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألـة ما أعظمها وأجلَّها، ويـاله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

[التعليق :]

بـــاب :

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـٰه إلاَّ الله

هما بمعنىٰ واحد، فهو من باب عطف المترادفين.

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمُّها كما قال المصنف ـ رحمه الله ـ.

وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرُّد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلىٰ أمرين :

الأمر الأول : نفي الأُلوهية كلها عن غير الله، بأَن يعلم ويعتقد أنَّه لا يستحق الإلـٰهية ولا شيئاً من العبودية أَحدٌ من الخلقِ لا نبي مرسل، ولا ملك مُقَرَّب ولا غيرهما، وأَنَّهُ ليسَ لأَحَدٍ من الخلقِ في ذلك حظّ ولا نصيب.

والأمر الثاني : إثبات الأُلوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعاني الأُلوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدِّين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصدًا بذلك وجه الله، وطالبًا رضوانه وثوابه.

ويعلم أَنَّ من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأَنَّ اتِّخاذ أَنداد يحبهم كحبِّ الله أَو يطيعهم كطاعة الله أَو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى لا إلـٰه إلاَّ الله أَشدَّ المُنافاة.

وبيَّنَ المصنف رحمه الله أَنَّ من أَعظم ما يبين معنىٰ لا إلـٰه إلاَّ الله قوله ﷺ: «**من قال لا إلـٰه إلاَّ الله وكفرَ بما يعبدُ من دونِ الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**». فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصماً للدمِ والمال، بل ولا معرفة معناها مع

لفظها، بل ولا الإقرار بـذلك، بل ولا كونه لا يدعـو إلاَّ الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم مـالـه ولا دمه حتى يضيـف إلىٰ ذلك الكفر بما يُعبَـدُ من دونِ الله فـإنْ شكّ أو توقَّفَ لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبيَّن بذلك أنَّه لابدَّ من اعتقاد وجـوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقـرار بـذلك اعتقـادًا ونطقًـا، ولابـدَّ من القيـام بعبودية الله وحـده طـاعـة لله وانقيادًا، ولابدَّ من البراءة مما ينافي ذلك عقلاً وقولاً وفعلاً.

ولا يتم ذلك إلاَّ بمحبة القـائمين بتوحيـد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهلِ الكفـر والشرك ومعـاداتهم، لا تغني في هـذا المقـام الألفـاظ المجـردة، ولا الـدعـاوى الخاليــة من الحقيقـة، بل لابـدَّ أن يتطـابق العلـم والاعتقـاد والقـول والعمل، فـإنَّ هذه الأشيـاء متـلازمـة متى تخلَّف واحد منهـا تخلفت البقيـة والله أعلم.



بــــاب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقولِ الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الآية. [الزمر: ٣٨].

وعن عمــران بن حصين رضي الله عنـه: أنَّ النبي ﷺ رأى رجـلاً في يـده حلقة من صفـر، فقال: «ما هذه»؟ قال: من الـواهنة، فقال: «**انْزِعْهَا فإنَّها لا تزيـدك إلَّا وَهْنًا، فإنَّكَ لو مِتَّ وهي عليكَ مـا أَفْلَحْتَ أَبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[١].

وله عن عُقْبَة بن عامر مرفوعًا: «**مَن تعلَّقَ تَميمَةً فلا أَتمَّ الله له، ومن تعلَّقَ ودعةً فلا وَدَعَ الله له**»[٢].

وفي رواية: «**مَن تعلَّقَ تَميمةً فقد أَشرك**»[٣].

ولابن أَبي حـاتم عن حُذيفـة[٤]: أَنَّه رأىٰ رجُـلاً في يده خَيطٌ من الحُمَّى، فقطعه وتلا قولَه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٤/ ٤٤٥ وفي إسناده (المبارك) وهو ابن فضالة أبو فضـالة البصري قال ابن حجـر (تقريب التهـذيب) ٢/ ٢٢٧؛ (صـدوق يدلس ويسـوى). ومن طـريق أبي عامـر الخزاز عن الحسن عن عمـران بنحـوه رواه ابن حبـان (١٤١١) والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححـه ووافقه الذهبي.

(٢) (المسنـد) ٤/ ١٥٤ وفي إسناده (خـالد بن عبيـد) وهو المعـافري قـال ابن حجر (تعجيل المنفعـة ص١١٤: (رجال حديثه موثوقون). والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) (المسنـد) ٤/ ١٥٦ عن عقبة بن عـامـر الجهني قـال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١٠٣: (رجـال أحمد ثقات. اهـ).

(٤) ذكره ابن كثير (التفسير) ٤/ ٥٥ معلقاً، ولم يعـزه لمخرجه من طريق حماد بن سلمـة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قـال: دخل حذيفة على مريض . . . نحوه ومع تعليق إسنـاده فيه (عاصم ابن أبي النجود) قال ابن حجـر (تقريب التهذيب) ١/ ٣٨٣: (صدوق له أوهـام، وحديثه في الصحيحين مقرون. اهـ).

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولـــى** : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

• **الثـــانيـــة** : أَنَّ الصحابي لو مات وهي عليه ما أَفلحَ، فيه شاهدٌ لكلام الصحابة أَنَّ الشرك الأَصغر أَكبرُ من الكبائر.

• **الثـــالثـــة** : أَنَّه لم يُعذَر بالجهالة.

• **الـرابعـة** : أَنَّها لا تنفع في العاجلة، بل تضر لقوله: «لا تزيدك إلاَّ وهنًا».

• **الخامسـة** : الإِنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

• **السادسـة** : التصريح بأَنَّ من تعلَّق شيئًا وكل إِليه.

• **السابعـة** : التصريح بأَنَّ من تعلق تميمة فقد أَشرك.

• **الثـامنـة** : أَنَّ تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

• **التـاسعـة** : تلاوة حذيفة الآية دليل على أَنَّ الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأَكبر على الأَصغر، كما ذكرَ ابن عباس في آية البقرة.

• **العـــاشرة** : أَن تعليق الودع عن العين من ذلك.

• **الحادية عشرة** : الدعاء على من تعلَّق تميمة أَنَّ الله لا يتم له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له. أَي ترك الله له.

[التعليـــق :]

بـــــاب :

من الشركِ لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أَو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أَحكام الأَسباب.

وتفصيل القول فيها : أَنَّه يجب على العبدِ أَن يعرف في الأَسباب ثلاثة أُمور:

أحدهـا : أَن لا يجعلَ منها سببًا إِلاَّ ما ثبت أَنَّه سبب شرعًا أَو قدرًا.

ثانيها : أَنْ لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع

قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها : أَنْ يعلمَ أَنَّ الأَسباب مهما عظمُتْ وقويت فإِنَّها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء: إِنْ شاءَ أَبقىٰ سببيتها جارية على مقتضىٰ حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربطَ المسببات بأَسبابها والمعلولات بعللها، وإِنْ شاءَ غيرها كيفَ يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمالَ قدرته، وأَنَّ التصرف المطلق والإِرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأَسباب.

إِذا علِمَ ذلك فمن لبسَ الحلقة أَو الخيط أَو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أَو دفعه قبل نزوله فقد أَشركَ، لأَنَّه إِن اعتقدَ أَنَّها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأَكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقدَ شريكًا معَ الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تأَلَّه لذلك وعلَّق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه، وإِنْ اعتقدَ أَنَّ الله هو الدَّافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء فقد جعلَ ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدَر.

أَما الشرع فإِنَّه ينهىٰ عن ذلك أَشدَّ النهي، وما نهى عنه فليس من الأَسباب النافعة.

وأَما القدَر فليس هذا من الأَسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأَدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإِنَّه لابدَ أَن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إِليه.

فإِذا كانت هذه الأُمور ليست من الأَسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إِلىٰ رضاء الله وثوابه، ولا من الأَسباب القدرية التي قد علِمَ أَو

جربَ نفعها مثل الأَدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقًا قلبه بها راجيًا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده فإنَّه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أَيضًا نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلّق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أَديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلُّق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأُمور النافعة المرقّية للعقول، المزكّية للنفوس، المصلحةِ للأَحوال كلها دينيها ودنيويها والله أَعلم.



باب
ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أَبي بَشير الأَنصاري رضي الله عنه: أَنّه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أَسفارِه، فأَرسل رسولاً أَن لا يَبقيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَترٍ، أَو قلادة إِلاَّ قُطِعَتْ[١].

وعن ابن مسعود قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَىٰ والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رواه أَحمد وأَبو داود[٢].

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: من تعلق شيئاً وكل إِليه. رواه أَحمد والترمذي[٣].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد باب ما قيل في الجرس ونحوه في أَعناق الإبل (٣/ ١٠٩٤) حديث رقم (٢٨٤٣). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (٣/ ١٦٧٢-١٦٧٣) حديث رقم (٢١١٥).

(٢) رواه أَحمد (١/ ٣٨١) وأَبو داود في كتاب الطب باب في تعليق التمائم (٤/ ٩) حديث رقم (٣٨٨٣) قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٥/ ٣٦٣: (والراوي عن زينب مجهول. اهـ) وقد وصف عند الإمام أحمد وأبي داود بأنه (ابن أخي زينب)، ووصف في (سنن ابن ماجه ٢/ ١١٦٧) بأنه (ابن أخت زينب).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠ و ٣١١)، والترمذي (السنن) ٤/ ٤٠٣ (كتاب الطب) (باب ما جاء في كراهية التعليق). حديث رقم (٢٠٧٢) وقال: (وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ).

وفي إسناده ــ أيضاً ــ (محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى) وقد ضعفه العلماء لسوء حفظه كما في (ميزان الاعتدال) ٣/ ٦١٤.

وللحديث شاهد يتقوى به رواه النسائي (السنن) ٧/ ١١٢ من طريق أبي داود ثنا عنه عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه». قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) ٢/ ٣٧٨: (هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه). وهذا تضعيف لا يمنع من تقوية حديث عبد الله بن عكيم وترقيته لمرتبة الحسن لغيره. والله أعلم.

«التَّمائمُ»: شيءٌ يُعَلَّقُ على الأَولاد يتقون بـه العَيْنَ، لكن إذا كـان المُعَلَّقُ من القرآن فـرَّخص فيـه بعضُ السَّلَف، وبعضهم لم يـرخِّص فيـه، ويجعلُـه من المنهيِّ عنه.

منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«الـرُّقى»: هي التي تسمَّى العـزائم، وخَصَّ منهـا الـدليل مـا خَـلاَ من الشِّرْكِ، فقد رَخَّصَ فيه رسول الله ﷺ من العَيْنِ والحُمَةِ.

و «التِّـوَلـةُ»: هي شيءٌ يصنعـونـه يـزعمـون أنَّـه يحبب المرأة إلىٰ زوجهـا، والرجل إلىٰ امرأته.

وروى أحمد عن رُوَيْفِعٍ، قـال: قـال لي رسـول الله ﷺ: **«يا رُوَيفعُ، لعلَّ الحيـاة تطول بـك، فأَخبرِ النـاسَ أنَّ مَن عَقَـدَ لِحْيته، أَو تقلَّـد وَتَـرًا، أَو استنجى برجيعِ دابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإنَّ محمدًا بريءٌ منه»**[1].

وعن سعيد بن جُبَير قال: مَن قَطَعَ تَمِيمَةً من إنسان كان كَعَدْلِ رَقَبةٍ. رواه وَكيع.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التَّمائمَ كلّها من القرآن وغير القرآن.

---

(١) (المسند) ٤/ ١٠٨ أولـه: (كان أحـدنا في زمـان رسول الله ﷺ يـأخذ جمل أخيـه... مطولاً وفي إسناده (ابـن لهيعة) قال ابـن حجر (تقريب التهـذيب) ١/ ٤٤٤: (صدوق خلـط بعد احتراق كتبـه ورواية ابن المبـارك وابن وهب عنه أعـدل من غيرهـا، وله في مسلم بعض شيء مقـرون). وليس هـذا من روايتهما عنـه، إلا أنـه منجبر بمتابعـة (المفضل بن فضـالـة) لـه عنـد أبي داود (السنن) ١/ ٣٤ (كتـاب الطهـارة) (بـاب مـا ينهى عنـه أن يستنجى بـه). حـديث رقم (٣٦) وسكت عنـه أبـو داود ثم المنـذري في (مختصر سنن أبي داود) ١/ ٣٦ وفي إسنـاده (عيـاش بن عباس القتبـاني) ولعل صوابـه ما ذكره المزي (تهـذيـب الكمال) ٣/ ١٣٦٥ في ترجمة (المفضل ابن فضالة بن عبيد المصري) أنه يروي عن (عبد الله بن عياش بن عباس القتباني).
وللحديث طـريق أخرى رواهـا النسائي (السنن) ٨/ ١٣٥ ــ ١٣٦ (كتـاب الـزينة) (بـاب عقد اللحية) عن حيوة بن شريح عن عياش بن عباس، وإسناده صحيح رجاله ثقات. والله أعلم.



☐ فيه مسائل:

• **الأولى**: تفسير الرقى والتمائم.

• **الثانية**: تفسير التولة.

• **الثالثة**: أَنَّ هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

• **الرابعة**: أَنَّ الرُّقية بالكلام الحقّ من العين والحمة ليس من ذلك.

• **الخامسة**: أَنَّ التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلفَ العلماء هل هي من ذلك أَم لا ؟.

• **السادسة**: أَنَّ تعليق الأَوتار على الدواب من العين من ذلك.

• **السابعة**: الوعيد الشديد على من علَّق وترًا.

• **الثامنة**: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

• **التاسعة**: أَنَّ كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدَّمَ من الاختلاف، لأَنَّ مراده أَصحاب عبدالله بن مسعود.

[التعليق:]

باب:

ما جاء في الرقى والتمائم

أَما التمائم فهي: تعاليق تتعلَّق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول في الحلقةِ والخيط كما تقدَّم.

فمنها: ما هو شرك أَكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أَو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغيرِ الله فيما لا يقدر عليه إِلاَّ الله شرك كما سيأْتي إِنْ شَاء الله.

ومنها: ما هو محرم كالتي فيها أَسماء لا يفهم معناها لأَنَّها تجُر إِلىٰ الشرك.

وأَما التعاليق التي فيها قرآن أَو أَحاديث نبوية أَو أَدعية طيبة محترمة فالأَولىٰ

تـركها لعـدم ورودها عن الشـارع ولكونها يتـوسل بها إلىٰ غيرها من المحـرم، ولأنَّ الغالب على متعلقها أنَّه لا يحترمها ويدخل بها المواضع القذرة.

أما الرقىٰ ففيها تفصيــل :

فإنْ كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنَّها مندوبة في حقّ الراقي لأنَّها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي، إلاَّ أنَّه لا ينبغي لـه أن يبتديء بطلبهـا، فـإنَّ من كمال توكل العبـد وقـوة يقينه أنْ لا يَسـأَل أَحدًا من الخلقِ لا رقيـة ولاغيرها، بل ينبغي إذا سأَلَ أَحدًا أن يدعـو له أن يلحظ مصلحة الـداعي والإحسـان إليه، بتسببه لهذه العبـودية لـه مع مصلحـة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التـوحيد ومعانيه البـديعة التي لا يوفق للتفقُّـه فيها والعمل بها إلاَّ الكُمَّل من العباد.

وإنْ كـانت الرُّقيـة يُدعىٰ بها غير الله ويُطلَب الشفـاء من غيره، فهذا هـو الشرك الأكبر لأَنَّه دُعاء واستغاثة بغيرِ الله.

فافهم هـذا التفصيل، وإيَّاكَ أَنْ تحكم على الـرُّقى بحكم واحد مـع تفاوتها في أسبابها وغاياتها.



باب
من تبرَّكَ بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ * إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

عن أبي واقِد اللَّيْثيِّ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سِدْرة يعكُفون عندها، ويَنُوطون بها أسلحَتهم، يُقالُ لها ذاتُ أنواطٍ، فمررنا بسِدْرةٍ، فقلنا: يا رسول الله اجْعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسولُ الله ﷺ: **«الله أكبرُ إنَّها السُّنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالتْ بنو إسْرائيل لموسى:**

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذيُّ وصحَّحه[١].

☐ **فيه مسائل:**

- **الأولى**: تفسير آية النجم.
- **الثانية**: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.
- **الثالثة**: كونهم لم يفعلوا.
- **الرابعة**: كونهم قصدوا التقرُّب إلى الله بذلك لظنهم أنَّهُ يُحبه.
- **الخامسة**: أنَّهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أولى بالجهل.

---

(١) (السنن) ٤/ ٤٧٥ (كتاب الفتن) (باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم). حديث رقم (٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ولفظه (أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرّ بشجرة يقال لها ذات أنواط....) الحديث.

• **السادسة :** أنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليسَ لغيرهم .

• **السابعة :** أنَّ النبي ﷺ لم يعذرهم بل ردَّ عليهم بقوله : «الله أَكبر إنَّها السنن لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم» . فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث .

• **الثامنة :** الأَمر الكبير ــ وهو المقصود ــ أنَّه أخبرَ أنَّ طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى (اجعل لنا إلـٰهًا) .

• **التاسعة :** أنَّ نفي هذا من معنى «لا إلـٰه إلاَّ الله» مع دقته وخفائه على أُولئك .

• **العاشرة :** أنَّه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلاَّ لمصلحة .

• **الحادية عشرة :** أنَّ الشرك فيه أكبر وأَصغر لأنَّهم لم يرتدوا بهذا .

• **الثانية عشرة :** قولهم : «ونحن حدثاء عهدٍ بكُفرٍ» فيه أنَّ غيرهم لايجهل ذلك .

• **الثالثة عشرة :** التكبير عند التعجُّب خلافًا لمن كرهه .

• **الرابعة عشرة :** سدّ الذرائع .

• **الخامسة عشرة :** النهي عن التشبُّه بأَهلِ الجاهلية .

• **السادسة عشرة :** الغضب عند التعليم .

• **السابعة عشرة :** القاعدة الكلية ، لقوله : «إنَّها السنن» .

• **الثامنة عشرة :** أنَّ هذا عَلَم من أَعلام النبوة لكونه وقع كما أَخبر.

• **التاسعة عشرة :** أنَّ كل ما ذمّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنَّه لنا .

• **العشرون :** أنَّه مقرر عندهم أنَّ العبادات مبناها على الأَمرِ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر.

أَما : «مَنْ ربك» فواضح وأَما «مَنْ نبيك» فمن إخباره بأَنباء الغيب . وأَما «ما دينك» فمن قولهم «اجعل لنا إلـٰهًا» إلىٰ آخره .

• **الحادية والعشرون:** أَنَّ سُنَّةَ أَهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

• **الثانية والعشرون :** أَنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لايؤمن أَن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : «ونحن حدثاء عهدٍ بكفر» .

[التعليق :]

باب :
من تبرَّك بشجرةٍ أَو حجرٍ ونحوهما

أَي فإِنَّ ذلك من الشرك ومن أَعمال المشركين ، فإِنَّ العلماء اتفقوا على أَنه لا يُشرع التبرك بشيء من الأَشجار والأَحجار والبقع والمشاهد وغيرها . فإِنَّ هذا التبرُّك غلوٌّ فيها وذلك يتدرج به إِلىٰ دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأَكبر كما تقدَّم انطباق الحدّ عليه ، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إِبراهيم وحجرة النبي ﷺ وصخرة بيت المقدِس وغيرها من البقع الفاضلة .

وأَما استلام الحجر الأَسود وتقبيله ، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيمٌ لله وخضوعٌ لعظمته ، فهو روح التعبُّد .

فهذا تعظيم للخالق وتعبُّد له ، وذلك تعظيم للمخلوق وتألُّه له .

فالفرق بين الأَمرين كالفرق بين الدُّعاء لله الذي هو إِخلاصٌ وتوحيدٌ ، والدُّعاء للمخلوق الذي هو شركٌ وتنديد .

بــــاب
ما جاء في الذبح لغير الله

وقوله الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢].

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: حدَّثني رسول الله ﷺ بأربع كلماتٍ: «**لَعَنَ الله مَن ذبحَ لغيرِ الله، لعَنَ الله مَن لعَنَ والِدِيْه، لَعَنَ الله مَن آوى مُحدِثًا، لَعَنَ الله مَن غَيَّر مَنَارَ الأَرض**»(١). رواه مسلم.

وعن طارق بن شِهاب أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دَخلَ الجنَّة رَجُلٌ في ذُبابٍ، ودخلَ النارَ رَجُلٌ في ذُبابٍ**». قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**مَرَّ رَجُلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يَجُوزُهُ أَحدٌ حتى يُقَرِّبَ لـه شيئًا، فقالوا لأَحدِهما: قرِّب، قال: ليسَ عندي شيءٌ أُقَرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذُبابًا، فقرَّبَ ذُبابًا فخلَّوا سبيله، فدخلَ النار. وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كُنْتُ لأُقرِّبَ لأَحَدٍ شيئًا دون الله عزَّ وجلَّ، فضربوا عنقه، فدخلَ الجنة**»(٢). رواه أحمد.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (٣/ ١٥٦٧) حديث رقم (١٩٧٨).

(٢) لم أقف عليه من حديث طارق بن شهاب، وقد وقفت عليه من حديث طارق بن شهاب عن سلمان رواه الإمام أحمد (الزهد) ص١٥ ــ ١٦ ووقع في النسخة المطبوعة (عن سليمان) وهو تحريف، والصواب أنه (عن سلمان) وقد رواه أبو نعيم في (الحلية) ١/ ٢٠٣ في ترجمة (سلمان الفارسي) كلاهما من طريق أبي معاوية حدّثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: دخل رجل الجنة في ذباب... فذكره موقوفاً، وإسناده صحيح رجاله ثقات، وله طريقان آخران ذكرهما أبو نعيم معلقة ولم يسق ألفاظهما حيث قال عقب روايته: (رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله، ورواه جرير من ــ كذا ـ منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرشد عن سلمان نحوه). وهو وإن كان موقوفاً فلعله مما لا مجال للرأي فيه. والله أعلم.

□ فيــه مســائل :

• **الأولى** : تفسير ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ .

• **الثانية** : تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ .

• **الثالثة** : البداءة بلعنة من ذبحَ لغيرِ الله .

• **الرابعة** : لعنَ من لعنَ والديه ، ومنه أَنْ تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

• **الخامسة** : لعن من آوىٰ مُحدثًا ، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حقّ الله ، فيلتجيء إلىٰ من يجيره من ذلك .

• **السادسة** : لعن من غير منار الأَرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأَرض فتغيرها بتقديم أَو تأخير .

• **السابعة** : الفرق بين لعن المعين ولعن أَهل المعاصي على سبيل العموم .

• **الثامنة** : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .

• **التاسعة** : كونه دخلَ النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصًا من شرهم .

• **العاشرة** : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلاَّ العمل الظاهر .

• **الحادية عشرة** : أَنَّ الذي دخلَ النار مسلم ، لأَنَّه لو كان كافراً لم يقل : «دخلَ النار في ذباب» .

• **الثانية عشرة** : فيه شاهدٌ للحديث الصحيح : «**الجنَّة أَقرب إلىٰ أَحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**»[1] .

• **الثالثة عشرة** : معرفة أَنَّ عمل القلب هو المقصود الأَعظم حتى عند عبدة الأَوثان .

---

(١) رواه البخاري . كتاب الرقاق ، باب الجنة أَقرب إلى أَحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك (٥/ ٢٣٨٠) حديث رقم (٦١٢٣) .

[التعليق :]

بـــاب :

ما جاء في الذبحِ لغيرِ الله

أَي أَنَّـه شرك ، فإِنَّ نصـوص الكتاب والسنـة صريحة في الأَمـر بالـذبح لله ، وإِخلاص ذلـك لوجهه ، كما هـي صريحة بذلك في الصـلاة ، فقد قرنَ الله الـذبح بالصلاة في عدة مواضعَ من كتابه .

وإِذا ثَبَتَ أَنَّ الـذبح لله من أَجلِّ العبادات وأَكبر الطـاعات ، فالـذبح لغير الله شرك أَكبر مخرج عن دائرة الإِسلام .

فـإِنَّ حدّ الشركِ الأَكبر وتفسيره الـذي يجمع أَنـواعه وأَفـراده : **(أَن يصرف العبد نوعًا أو فرداً من أَفراد العبادة لغير الله)** .

فكل اعتقادٍ أَو قولٍ أَو عملٍ ثبتَ أَنَّه مأمـور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإِيمان وإِخلاص ، وصرفه لغيره شِرك وكفر.

فعليك بهذا الضابط للشركِ الأَكبر الذي لا يشذّ عنه شيء .

كما أَنَّ حدّ الشرك الأَصغر هو: **(كل وسيلة وذريعـة يتطرق منها إِلىٰ الشرك الأَكبر من الإِرادات والأَقوال والأَفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة)** .

فعليك بهذين الضابطين للشركِ الأَكبر والأَصغر، فـإِنَّه مما يعينك على فهم الأَبواب السـابقة واللاحقـة من هذا الكتـاب ، وبه يحصل لك الفرقـان بين الأُمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان .

بـــاب
لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ .

[التوبة : ١٠٨]

وعن ثابت بن الضَّحَاكِ رضي الله عنه قال : «نَذَرَ رَجلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلاً بِبُوانَةَ ، فسأل النبي ﷺ فقال : «هل كان فيها وَثَنٌ من أَوثانِ الجاهِليَّة يُعْبَد؟» قالوا : لا قال : «فهل كان فيها عيدٌ من أَعيادهم؟» . قالوا : لا فقال رسول الله ﷺ : «أَوْفِ بِنذرك ، فإنَّه لا وَفاءَ لِنَذْرٍ في معصيةِ الله ، ولا فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدم» . رواه أَبو داود وإسنادُه على شرطِهما[1] .

□ فيـــه مســـائل :

- **الأولى** : تفسير قوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ .
- **الثانية** : أَنَّ المعصية قد تؤثِّر في الأَرض وكذلك الطاعة .
- **الثالثة** : رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البينة ليزول الإشكال .
- **الرابعة** : استفصال المفتي إذا احتاج إلىٰ ذلك .
- **الخامسة** : أَنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .
- **السادسة** : المنع منه إذا كان فيه وثنٌ من أَوثان الجاهلية ولو بعد زواله .
- **السابعة** : المنع منه إذا كان فيه عيد من أَعيادهم ولو بعد زواله .
- **الثامنة** : أَنَّه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأَنَّه نذرُ معصية .

---

(١) (السنن) ٣/ ٦٠٧ (كتاب الإيمان والنذور) (باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر) حديث رقم (١٣١٣) قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الجبير) ٤/ ١٩٨ : (رواه أَبو داود من حديث ثابت بن الضحاك بسند صحيح . اهـ) .

• **التاسعة :** الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

• **العاشرة :** لا نذرَ في معصية.

• **الحادية عشرة :** لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

[التعليق :]

باب :

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذي قبله، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة فإنَّ المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرباً إليها وشركاً بالله قد صار مشعراً من مشاعر الشرك، فإذا ذبحَ فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله، فقد تشبَّه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلىٰ الموافقة الباطنة والميل إليهم.

ومن هذا السبب نهىٰ الشارع عن مشابهة الكفَّار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعاداً للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى إنَّه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبُّه المحذور.

بـــاب

من الشرك : النذرُ لغير الله

وقول الله تعالى :

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ [الإنسان : ٧].

وقوله :

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ ﴾ [البقرة : ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«من نَذَرَ أَن يُطِيعَ اللهَ فلْيُطِعهُ ، ومَنْ نَذَرَ أَن يَعصيَ اللهَ فَلا يَعْصِهِ»** . (١)

□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولى :** وجوب الوفاء بالنذر.
- **الثـــانيـــة :** إذا ثبَتَ كونه عبادة لله فصرفه إلىٰ غيره شرك .
- **الثـــالثـــة :** أَنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الأَيمان والنذور بـاب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦/ ٢٤٦٤) حديث رقم (٦٣٢٢). ورواه في موضع آخر ـ أيضاً ـ (٦/ ٢٤٦٣) (كتاب الإيمان والنذور) (باب النذر في الطاعة) حديث رقم (٦٣١٨).

بـــاب

من الشرك: الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

وعن خَـوْلَـةَ بنتِ حكيم رضي الله عنها قـالـت: سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقال: أعوذُ بكلمات الله التّامّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْحَلَ من منزله ذلك**». رواه مسلم(١).

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولى**: تفسير آية الجن.
- **الثــانيــة**: كونه من الشرك.
- **الثــالثــة**: الاستـدلال على ذلك بـالحديث، لأنَّ العلماء يستدلـون بـه على أنَّ كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأنَّ الاستعاذة بالمخلوق شرك.
- **الـرابعـة**: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.
- **الخامســة**: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنَّه ليس من الشرك.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الـذكر والدعاء والتوبـة والاستغفار، باب في التعوذ مـن سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠ ـ ٢٠٨١) حديث رقم (٢٧٠٨).

بـــاب
من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

[الأحقاف: ٥-٦]

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

وروى الطبرانيُّ بإسناده: أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نَسْتَغيثُ برسولِ الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ: **«إنَّهُ لا يُستغاثُ بي وإِنَّمَا يُسْتَغاثُ بالله»**(١).

---

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في (المعجم الكبير) عن عبادة بن الصامت ولم أقف على مسنده في المطبوع من (المعجم الكبير)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩): (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام. اهـ).

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولى** : أَنَّ عطف الدُّعاء على الاستغاثة من عطفِ العام على الخاص .

• **الثـانيـة** : تفسير قوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .

• **الثـالثـة** : أَنَّ هذا هو الشرك الأَكبر.

• **الـرابعـة** : أَنَّ أَصلحَ الناس لو يفعله إِرضاءً لغيره صار من الظالمين .

• **الخامسـة** : تفسير الآية التي بعدها .

• **السـادسـة** : كون ذلك لا ينفع في الدُّنيا مع كونه كفراً.

• **السـابعـة** : تفسير الآية الثالثة[1] .

• **الثـامنـة** : أَنَّ طلب الرزق لا ينبغي إِلاَّ من الله ، كما أَنَّ الجنة لاتطلب إِلاَّمنه .

• **التـاسعـة** : تفسير الآية الرابعة .

• **العـاشرة** : أَنَّه لا أَضلَّ ممن دعَا غير الله .

• **الحاديـــة عشرة** : أَنَّه غافلٌ عن دعاء الدَّاعي لا يدري عنه .

• **الثـانيـــة عشرة** : أَنَّ تِلْكَ الدعوة سبب لبغض المدعو للدَّاعي وعداوته له .

• **الثـالثـــة عشرة** : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

• **الـرابعـــة عشرة** : كفر المدعو بتلكَ العبادة .

• **الخامسـة عشـرة** : أَنَّ هذه الأمور هي سبب كونه أَضل الناس .

• **السـادسـة عشرة** : تفسير الآية الخامسة .

• **السـابعـــة عشرة** : الأَمـر العجيب ، وهـو إِقـرار عبدة الأَوثـان بـأَنَّـه لا يجيب المضطر إِلاَّ الله ، ولأَجل هـذا يدعونـه في الشدائد مخلصين له الدِّين .

• **الثـامنـة عشـرة** : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأَدُّب مع الله .

---

(١) أي الآية (١٧) من سورة العنكبوت .

[التعليق :]

بـــــاب :

من الشرك: النذر لغير الله

بـــــاب :

من الشرك: الاستعاذة بغير الله

بـــــاب :

من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

متى فهمت الضابط السابق في حـدِّ الشرك الأكبر وهو أن (من صرفَ شيئاً من العبادة لغيرِ الله فهو مشرك).

فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والى المصنف بينها .

فإنَّ النذر عبادة مـدح الله الموفين به ، وأَمرَ النبي ﷺ بالوفـاء بنذرِ الطاعة ، وكل أَمر مدحه الشارع أَو أَثنىٰ على من قامَ به أَو أَمرَ به فهو عبادة .

فـإنَّ العبادة (اسمٌ جـامع لكل مـا يحبـه الله ويرضـاه من الأَعمال والأَقـوال الظاهرة والباطنة) والنذر من ذلك .

وكذلك أَمـر الله بالاستعاذة به وحـده من الشرور كلها، وبالاستغاثـة به في كل شـدَّة ومشقَّـة ، فهـذه إخـلاصها لله إيمان وتـوحيـد ، وصرفهـا لغير الله شركٌ وتنديد .

والفرق بين الدُّعـاء والاستغاثة ، أَنَّ الدُّعاء عام في كل الأَحـوال والاستغاثة هي الـدعاء لله في حـالـة الشدائد ، فكل ذلك يتعين إخـلاصـه لله وحده، وهـو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين ، ومن دعا غيره من نبي أَو ملك أَو ولي أَو غيرهم أَو استغـاث بغيرِ الله فيما لا يقدر عليـه إلاَّ الله فهو مشرك كـافر، وكما أَنَّـه خرجَ من الـدِّين فقـد تجرَّد أَيضاً من العقـل ، فإنَّ أَحـداً من الخلق ليس عنـده من النفع والدفع مثقـال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقـراء إلىٰ الله في كل شؤونهم .

بـــاب :
قــول الله تـعـالــى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١ ، ١٩١] .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

وفي الصحيح[(١)] عن أَنس رضي الله عنه قال : شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحُدٍ وكُسِرتْ رباعِيَّتُه . فقال : «**كيف يُفلحُ قومٌ شَجُّوا نبيهم**»؟ فنزلت :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وفيه[(٢)] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما : «**أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله ﷺ يقول : إذا رفعَ رأسه من الركوع في الركعة الأَخيرة من الفجر : «اللهم العَنْ فلاناً وفلاناً» . بعدما يقول : «سمعَ اللهُ لمن حمده ربَّنا ولك الحمدُ»**، فأَنزلَ الله :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية .

---

(١) رواه البخاري معلقاً: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ . (٤/ ١٤٩٣) . ورواه مسلم : كتاب الجهاد والسير باب غزوة أُحد (٣/ ١٤١٧) حديث رقم(١٧٩١) . ولفظه : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله . . . الحديث .

(٢) رواه البخاري : كتاب المغازي باب قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٤/ ١٤٩٣ـ ١٤٩٤) حديث رقم (٣٨٤٢) .

وفي رواية[١]: «يَدْعُو على صفوانَ بن أُميَّة وسُهيْل بن عَمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حينَ أُنزِلَ عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فقال: «**يا مَعْشَرَ قُرَيش - أو كلمةً نحوها - اشتروا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بن عبدالمطَّلِب: لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفِيَّةُ عَمَّة رسول الله ﷺ: لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنت محمدٍ: سليني من مالي ماشئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً**»[٢].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى**: تفسير الآيتين.
- **الثانية**: قصة أُحُدٍ.
- **الثالثة**: قنوتُ سيدِ المرسلينَ وخلفه ساداتُ الأولياءِ يؤمِّنونَ في الصلاة.
- **الرابعة**: أنَّ المدعوَّ عليهم كُفَّارٌ.
- **الخامسة**: أنَّهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفَّار، منها شجَّهُم نبيَّهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.
- **السادسة**: أنزلَ الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.
- **السابعة**: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتاب عليهم فآمنوا.

---

(١) رواه البخاري: مع فتح الباري ٧/ ٣٦٥ حديث رقم (٤٠٧٠) كتاب المغازي باب قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وهو مرسل لأنه من رواية سالم بن عبدالله بن عمر وقد وصلها أحمد (٢/ ٩٣) والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران (٥/ ٢١٢) حديث رقم (٣٠٠٤). وقال: هذا حديث حسن غريب. اهـ.

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة الشعراء باب قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨) حديث رقم (٤٤٩٣). ومسلم: كتاب الإيمان باب قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (١/ ١٩٢ - ١٩٣) حديث رقم (٢٠٦).

• **الثامنة :** القنوت في النوازل .

• **التاسعة :** تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

• **العاشرة :** لعن المعين في القنوت .

• **الحادية عشرة :** قصته ﷺ لما أُنزلَ عليه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

• **الثانية عشرة :** جده ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلىٰ الجنون وكذلك لو يفعله مسلمٌ الآن .

• **الثالثة عشرة :** قوله للأبعد والأقرب : «**لا أُغني عنك من الله شيئاً**»، حتى قال : «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنكِ من الله شيئاً**» . فإذا صرَّحَ وهو سيد المرسلين بأنَّه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنَّه لا يقول إلاَّ الحقّ ، ، ثم نظرَ فيما وقعَ في قلوب خواص الناس اليوم تبيَّنَ لَهُ التوحيدُ وغربةُ الدِّينِ .

[التعليق :]

بـاب :

قول الله تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾.

هـذا شروع في براهين التوحيد وأدلَّته ، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليسَ لغيره .

فتقدَّمَ أنَّ التوحيدين : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها ، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحقّ العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبدَ مع الله ، فإنَّ جميع ما يُعبَدُ من دونِ الله من ملكٍ وبشرٍ ومن شجرٍ وحجرٍ وغيرها كلهم فقراء إلىٰ الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئاً وهم

يُخلَقُون، ولا يملكـون ضرًّا ولا نفعاً ولا مـوتاً ولا حيـاةً ولا نشوراً، والله تعـالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق، المدبِّـر للأُمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الـذي بيده ملكـوت كل شيء، وإليه يـرجع كل شيء، وله يَقصـد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأي بُـرهان أعظم من هـذا البرهان الذي أعاده الله وأبـداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسولـه، فهو دليل عقلي فطري كما أنَّه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنَّه الحقّ، وعلى بُطْلان الشرك.

وإذا كـان أشرف الخلق على الإطـلاق لا يملك نفع أقـرب الخلق إليـه وأمسِّهم به رحماً فكيف بغيره؟ فتباً لمن أشركَ بالله وسـاوىٰ به أحداً من المخلوقين، لقد سُلِبَ عقله بعدما سُلِبَ دينه.

فنعوتُ الباري تعالى وصفاتُ عظمتـه وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنَّه لا يستحقُّ العبادة إلاَّ هو.

وكـذلك صفات المخلـوقـات كلهـا، وما هي عليـه من النقص والحاجـة والفقـر إلىٰ ربها في كل شؤونها، وأنَّـه ليسَ لها من الكمال، إلاَّ مـا أعطاهـا ربها من أعظم البراهين على بطلان إلٰهية شيء منها.

فمن عـرف الله وعرف الخلق اضطرتـه هذه المعـرفـة إلىٰ عبادة الله وحـده، وإخلاص الـدين له والثنـاء عليه، وحمده وشكـره بلسانـه وقلبه وأركـانه وانصرف تعلُّقه بالمخلوقين خوفاً ورجاءً وطمعاً، والله أعلم.



بـــاب
قــول الله تـعـالـــى

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾
[سـبأ : ٢٣]

وفي الصحيح عن أَبي هريرة رضي الله عنـه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأَمرَ في السماءِ ضربت الملائكـة بأجنحتها خُضَعانـاً لقولِه، كأَنَّـه سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ ينفذهُم ذلك، (حتى إذا فُـزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قـال ربكم قالوا الحق وهـــو العلي الكبير)، فيسمعها مسترق السَّمع، ومسترقُ السَّمع هكذا بعضُهُ فوقَ بعض ـ وصفهُ سُفيان بكَفِّهِ، فحرَّفهـا وبَدَّد بينَ أَصابعه ـ فيَسْمَعُ الكلمة فيُلقيها إلىٰ من تحتـهُ، ثم يُلقيهـا الآخر إلىٰ من تحتـه، حتى يُلقيهـا على لسـان الساحِـر أَو الكاهن، فرُبما أَدركه الشهابُ قبل أَن يُلقيهـا وربما أَلقاها قبل أَن يُدركه، فيكْذِبُ معها مـائة كذْبةٍ، فيُقال: أَليسَ قـد قال لنا يـومَ كذا وكذا: كذا وكـذا؟ فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء**»[١].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَرادَ الله تعالى أَن يُوحي بالأَمر، وتكلَّم بالـوحي أَخذت السموات منه رجفةً، ـ أَو قال: رعْدةً ـ شديدةً خوفـاً من الله عز وجلّ، فإذا سمع ذلك أَهلُ السمـٰـوات صُعِقوا وخـرُّوا لله سُجَّداً، فيكـونُ أَولَ من يـرفع رأسـه جبريلُ، فيكلمه الله من وحيـه بما أَراد، ثم يَمُرُّ جبريل على الملائكة، كُلَّما مَـرَّ بسماء سأله ملائكتها: مـاذا قال ربنا**

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة سبأ باب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ (٤/ ١٨٠٤) حديث رقم (٤٥٢٢).

يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحقَّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قالَ جبريلُ، فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيثُ أَمَرَهُ الله عز وجل»[1].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير الآية.
- **الثانية:** ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلَّق على الصالحين، وهي الآية التي قيل إنَّها تقطع عروق شجرة الشركِ من القلبِ.
- **الثالثة:** تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.
- **الرابعة:** سبب سؤالهم عن ذلك.
- **الخامسة:** أَنَّ جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».
- **السادسة:** ذكرُ أَنَّ أَول من يرفع رأسه جبريل.
- **السابعة:** أَنَّه يقول لأَهل السمٰوات كلهم لأَنهم يسألونه.
- **الثامنة:** أَنَّ الغشي يعم أَهل السمٰوات كلهم.
- **التاسعة:** ارتجاف السمٰوات لكلام الله.
- **العاشرة:** أَنَّ جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أَمره الله.
- **الحادية عشرة:** ذكر استراق الشياطين.
- **الثانية عشرة:** صفة ركوب بعضهم بعضاً.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم (السنة) ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ حديث رقم (٥١٥) من طريق نعيم بن حماد ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان الكلابي... الحديث بنحوه وإسناده ضعيف لأجل الوليد بن مسلم قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٣٣٦: (ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية). ونص بعض العلماء على أنه ليس لهذا الحديث أصل قال الذهبي (الميزان) ٤/ ٢٦٨: (قال أبو زرعة الدمشقي عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بالوحي. فقال دحيم: لا أصل له. اهـ).

• الثالثة عشرة : إرسال الشهب.

• الرابعة عشرة : أَنَّه تارةً يدركه الشهاب قبل أَن يلقيها وتارةً يلقيها في أُذُن وليه من الإِنس قبل أَن يُدركه.

• الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدُق بعض الأَحيان.

• السادسة عشرة : كونه يكذبُ معها مائة كذبةٍ.

• السابعة عشرة : أَنَّه لم يصدَّق كذبه إلَّا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

• الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدةٍ ولا يعتبرون بمائة ؟.

• التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعضٍ تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

• العشرون : إثبات الصفاتِ خلافاً للأَشعرية المعطِلة.

• الحادية والعشرون: التصريح بأَنَّ تلكَ الرجفة والغشي خوفاً من الله عزَّ وجلَّ.

• الثانية والعشرون : أَنَّهُم يخرُّون لله سجداً.

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

وهذا أَيضاً برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالَّة على كبرياء الربّ وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي ولا تثبت أَفئدتهم عندما يسمعون كلامه أَو تتبدَّىٰ لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأَسرِهَا خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمن كان

هذا شأنه فهو الربّ الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم والتألُّه إلاَّ هو، ومن سواه ليس له من هذا الحقِّ شيء. فكما أَنَّ الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أَن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه.



بــاب
الشفــاعـــة

وقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وقوله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

وقوله : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] .

وقوله : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] .

وقوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] .

قال أبو العباس[(١)]: نفى الله عمَّا سواهُ كل ما يتعلَّق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مُلْكٌ أو قِسْطٌ منهُ أو يكون عوناً لله ولم يَبْقَ إلاَّ الشَّفاعَةُ ، فبيَّنَ أنَّها لا تَنْفَعُ إلاَّ لِمن أَذِنَ له الرَّبُّ كما قال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

فهذه الشفاعةُ التي يَظُنُّها المشركون هي مُنْتَفِيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأَخْبَرَ النبي ﷺ : «أَنَّهُ يأتي فيسجد لربه ويحمَدُهُ ـ لا يبدأ بالشفاعة أَوَّلاً ـ ثم يُقال له : «ارفع رأسك ، وقُلْ يُسْمَعْ ، وسَل تُعْطَ ، واشْفَع تُشَفَّعْ»[(٢)] .

---

(١) هو الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى .

(٢) جزء من حديث الشفاعة الطويل . رواه البخاري : كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (٣/ ١٢١٥ـ ١٢١٦) حديث رقم (٣١٦٢) . ومسلم : كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤ ، ١٨٦) حديث رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال أَبو هـريرة له ﷺ: من أَسْعدُ النـاس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إلـه إلاَّ الله خالصاً من قلبه**»(١). فتلكَ الشفاعة لأَهـل الإخلاص بإذن الله، ولا تكونُ لمن أَشْركَ بالله.

وحقيقتُه أَنَّ الله سبحانه هـو الذي يَتَفَضَّلُ على أَهلِ الإخلاص، فيغفر لهم بواسِطةِ دعاء من أَذِنَ له أَن يَشْفعَ ليُكْرِمَهُ وينالَ المقام المحمود.

فالشفاعـة التي نفاها القرآن مـا كان فيها شِرْكٌ، ولهذا أَثْبتَ الشفاعـة بإذنه في مواضع وقد بيَّن النبي ﷺ أَنَّها لا تكونُ إلاَّ لأَهـلِ التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـــى:** تفسيرُ الآيات.
- **الثـانيـة:** صفةُ الشفاعة المنفيَّة.
- **الثـالثـة:** صفةُ الشفاعة المثبتة.
- **الـرابعـة:** ذكرُ الشفاعةِ الكبرى وهي المقامُ المحمودُ.
- **الخامسـة:** صفةُ مـا يفعلهُ ﷺ أَنَّهُ لا يبـدأُ بالشفـاعة بل يسجدُ، فـإذا أُذِنَ له شفعَ.
- **السادسة:** من أَسعدُ الناس بها؟.
- **السابعـة:** أَنَّها لا تكون لمن أَشركَ بالله.
- **الثـامنـة:** بيانُ حقيقتها.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

الشفاعـــــة

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم باب الحرص على الحديث (١/ ٤٩) حديث رقم (٩٩).

إنَّما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب لأنَّ المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أَنَّهم مخلوقون ومملكون، ولكن حيث إنَّ لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقاماتٍ عاليةٍ، ندعوهم ليُقربونا إلىٰ الله زُلفىٰ وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرَّب إلىٰ الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

وهذا من أَبطلِ الباطلِ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أَحد وتخضع له المخلوقات بأَسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

فأَبطلَ الله هذا الزعم وبيَّنَ أَنَّ الشفاعة كلها له، كما أَنَّ المُلْكَ كله له، وأَنَّه لا يشفع عنده أَحد إلاَّ بإذنه، ولا يأذن إلاَّ لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلاَّ توحيده وإخلاص العمل له.

فبيَّنَ أَنَّ المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّنَ أَنَّ الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنَّما هي الشفاعة لأَهل الإخلاص خاصة وأَنَّها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفواً عن المشفوع له، وأَنَّه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أَذِنَ لمحمد ﷺ فيها وأَناله المقام المحمود.

فهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة في تفصيل القولِ في الشفاعة.

وقد ذكرَ المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع وهو كافٍ شافٍ.

فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأَنَّه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالاً ولا مشاركةً ولا معاونةً ولا مظاهرةً ولا من الشفاعة شيء. وإنَّما ذلك كله لله وحده، فتعيَّن أَنْ يكونَ المعبود وحده.



بـــاب

قــول الله تعـالــى

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦].

في الصحيح[1] عن ابن المسيَّب عن أَبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبا طَالب الوفاة، جاءهُ رسولُ الله ﷺ وعنده عبدالله بن أَبي أُميَّة وأَبو جهل. فقال له: «**يا عمِّ: قل لا إلـٰه إلاَّ الله، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله**» فقالا له: أَترغَبُ عن مِلَّة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأَبى أَن يقولَ لا إلـٰه إلاَّ الله، فقال النبي ﷺ: «**لأَستغفِرَنَّ لك مالم أُنْه عنكَ**»، فأَنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣].

وأَنزلَ في أَبي طالب:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦].

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـــى:** تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾.
- **الثـانيـة:** تفسير ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾
- **الثـالثـة:** ــ وهي المسألة الكبيرة ــ: تفسيرُ قوله: «**قل لا إلـٰه إلاَّ الله**». بخلافِ ما عليهِ من يدَّعي العلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة القصص باب «إِنَّك لا تهدي من أَحببت ولكن الله يهدي من يشاء» (٤/ ١٧٨٨ ــ ١٧٨٩) حديث رقم (٤٤٩٤) ومسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة. . . . . (١/ ٥٤) حديث رقم (٢٤).

• **الرابعة** : أَنَّ أَبا جهلٍ ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قـالَ للرجل : «قُلْ لا إلٰه إلاَّ الله» فقبَّحَ الله مَنْ أَبو جهل أَعلمُ منهُ بأَصل الإِسلام .

• **الخامسة** : جِدّه ﷺ ومبالغته في إِسلام عمه .

• **السادسة** : الردُّ على من زعم إِسلام عبدالمطلب وأَسلافه .

• **السابعة** : كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له بل نُهيَ عن ذلك .

• **الثامنة** : مضرةُ أَصحابِ السوءِ على الإِنسان .

• **التاسعة** : مضرة تعظيم الأَسلاف والأَكابر .

• **العاشرة** : الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك .

• **الحادية عشرة** : الشاهِدُ لكون الأَعمال بالخواتيم لأَنَّهُ لو قالَهَا لنَفَعتْهُ .

• **الثانية عشرة** : التأمُّل في كِبَر هذه الشُّبهة في قلوب الضالين لأَنَّ القصة أَنهم لم يجادلوه إلاَّ بها مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾

وهـذا البـاب أَيضاً نظير البـاب الـذي قبلـه ، وذلك أَنَّهُ إِذا كـان ﷺ هـو أَفضلُ الخلقِ على الإِطلاق وأَعظمهم عند الله جاهـاً وأَقربهم إِليه وسيلة ، لا يقدر على هداية من أَحبَّ هدايـة التوفيق وإِنَّما الهدايـة كلها بيـد الله ، فهو الـذي تفرَّدَ بهداية القلوب كما تفرَّدَ بخلقِ المخلوقات فتبيَّنَ أَنَّه الإِلـٰه الحقّ .

وأَما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ . [الشورى : ٥٢] .

فالمراد بالهدايـة هنا : هداية البيـان . وهو ﷺ المبلِّغ عن الله وحيه الـذي اهتدىٰ به الخلق .

باب
ما جاء أَنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء : ١٧١].

وفي الصحيح عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قول الله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح : ٢٣].

قال : «هذه أَسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوح ، فلما هلكوا أُوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم : أَن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أَنصاباً وسمُّوها بأَسمائهم ، ففعلوا ولم تُعْبَدْ حتى إذا هلَكَ أُولـٰئِكَ ونُسِيَ العلمُ ، عُبِدَتْ»[1].

وقال ابن القيِّم : قال غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ : لما ماتُوا عكفوا على قبورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلهم ثم طالَ عليهم الأَمدُ فعبدوهم[2].

وعن عمر أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «لا تُطْرُوني كما أَطرتِ النصارى ابن مريم إِنَّما أَنا عَبْدٌ . فقولوا : عَبْدُ الله ورسوله» . أَخرجاه[3].

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير، تفسير سورة نوح باب : ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾ (٤/ ١٨٧٣) حديث رقم (٤٦٣٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري : كتاب الأَنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾ (٣/ ١٢٧١) حديث رقم (٣٢٦١) ولم يروه مسلم .

وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ والغلوَّ، فإنما أَهْلَكَ من كان قبلكم الغُلُو»**[١].

ولمسلم[٢] عن ابن مسعودٍ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **«هَلَكَ المُتنطِّعون»**. قالها ثلاثاً.

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** أَنَّ من فهمَ هذا الباب وبابين بعده تبيَّن له غُربة الإسلام، ورأىٰ من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجَب.
- **الثانية:** معرفة أَول شركٍ حدَثَ على وجه الأَرض أَنَّه بشبهة الصالحين.
- **الثالثة:** أَول شيءٍ غُيِّرَ به دين الأَنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أَنَّ الله أَرسلهم.
- **الرابعة:** قبول البِدَع مع كون الشرائع والفِطَر تردها.
- **الخامسة:** أَنَّ سبب ذلك كله مزج الحقّ بالباطل.
  فالأَول: محبة الصالحين.
  والثاني: فعلُ أُناسٍ من أَهلِ العلم والدِّين شيئاً أَرادوا به خيراً، فظنَّ من بعدهم أَنَّهُم أَرادوا به غيره.
- **السادسة:** تفسير الآية التي في سورة نوح.
- **السابعة:** جِبِلَّة الآدمي في كون الحقّ ينقص في قلبه والباطل يزيد.
- **الثامنة:** فيه شاهدٌ لما نقل عن السلف أَنَّ البِدع سبب الكفر.

---

(١) رواه النسائي في (السنن) ٥/ ٢٦٨ (كتاب مناسك الحج) (باب التقاط الحصى) وابن ماجة في (السنن) ٢/ ١٠٠٨ (كتاب المناسك) (باب قدر حصى الرمي) حديث رقم (٣٠٢٩) والإمام أحمد في (المسند) ١/ ٢١٥ و ٣٤٧ ثلاثتهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ١٠٦: (هذا إسناد صحيح على شرط مسلم. اهـ).

(٢) رواه مسلم: كتاب العلم باب هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥) حديث رقم (٢٦٧٠).

• **التاسعة :** معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

• **العاشرة :** معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلوّ ومعرفة ما يؤول إليه .

• **الحادية عشرة :** مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

• **الثانية عشرة :** معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .

• **الثالثة عشرة :** معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

• **الرابعة عشرة :** ــ وهي أعجب وأعجب ــ قراءتهم إيَّاها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حالَ بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أنَّ ما نهىٰ الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .

• **الخامسة عشرة :** التصريح بأنَّهم لم يريدوا إلاَّ الشفاعة .

• **السادسة عشرة :** ظنهم أنَّ العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

• **السابعة عشرة :** البيان العظيم في قوله : «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» . فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين .

• **الثامنة عشرة :** نصيحته إيَّانا بهلاك المتنطعين .

• **التاسعة عشرة :** التصريح بأنَّها لم تُعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

• **العشرون :** أنَّ سبب فقد العلم موت العلماء .

[التعليق :]

بـاب :

ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

والغلو هو مجاوزة الحدّ بأن يُجْعَلَ للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء ، فإنَّ حقّ الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق والغِنى المطلق

والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنَّه لا يستحقّ العبادة والتألُّه أَحدٌ سواه.

فمن غلا بأَحد من المخلوقين حتى جعلَ له نصيباً من هذه الأَشياء فقد ساوى به ربّ العالمين، وذلك أَعظم الشرك. ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أَقسام:

* أَهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

* وأَهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أَنزلهم الله بها.

* وأَهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم، وادِّعاء عصمتهم، والصالحون أَيضًا يتبرؤون من أَن يدَّعوا لأَنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦].

* واعلم أَنَّ الحقوق ثلاثة:

حقٌّ خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التألُّه له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًّا وخوفاً ورجاءً.

وحقٌّ خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحقٌّ مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أَصلاً وللرسل تبعاً لحقِّ الله.

فأَهل الحقِّ يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدِّين له، ويقومون بحقِّ رسله وأَوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم. والله أَعلم.

بـــاب

ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عـائشـة أَنَّ أُم سَلمَـة ذكَرتْ لـرسـول الله ﷺ كنيسـةً رأتها بـأَرضِ الحبشـة وما فيهـا من الصُّـورِ، فقـال: «أُولـئِكِ إِذا مـاتَ فيهم الـرجل الصـالح ـ أَو العبـدُ الصالح ـ بَنَـوا على قبره مسجداً وصَـوَّرُوا فيه تلكَ الصُّـوَرَ، أُولـئِكِ شِرَارُ الخلـقِ عند الله»[1]. فهؤلاءِ جَمَعُـوا بينَ الفتنتين: فتنة القبـور وفتنة التماثيل.

ولهما[2] عنهـا قالـت: لما نُزِل بـرَسـولِ الله ﷺ طَفِقَ يطـرح خميصَةً لـه على وجهه، فإِذا اغْتَمَّ بها كشفها فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارىٰ، اتَّخذُوا قبورَ أَنبيـائهم مسـاجدَ»، يُحَذِّر ما صنعـوا، ولولا ذلك أُبْـرِزَ قَبرُه، غير أَنَّه خَشِيَ أَن يُتَّخَذَ مسجداً. أَخرجاه.

ولمسلم عن جَنـدُبِ بن عبـدالله قـال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أَنْ يمـوتَ بخمسٍ وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلىٰ الله أَن يكونَ لي منكم خليـلٌ، فإِنَّ الله قد اتَّخَذَني خليلاً، كما اتَّخَذَ إِبراهيمَ خليلاً. ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتي خليلاً لاتخذتُ أَبا بكرٍ خليـلاً، أَلا وإِنَّ من كانَ قبلكم كـانوا يتخـذون قبـور أَنبيائهم مسـاجدَ، أَلا فـلا

---

(١) رواه البخاري: كتـاب الصلاة بـاب هل تنبش قبـور مشركي الجاهلية ويتخـذ مكانها مسـاجد (١/ ١٦٥) حديث رقم (٤١٧). ومسلم: كتاب المساجد ومـواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسـاجـد على القبور واتخاذ الصـور فيهـا والنهي عن اتخاذ القبـور مساجـد (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) حديث رقم (٥٢٨).

(٢) رواه البخـاري: كتـاب الصـلاة بـاب الصـلاة في البيعـة (١/ ١٦٨) حـديث رقم (٤٢٥). ومسلم: كتاب المساجـد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجـد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/ ٣٧٧) حديث رقم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس.

تتخذوا القبور مساجد، فإنِّي أنهاكم عن ذلك»(١).

فقَدْ نهىٰ عنه في آخر حياته ثم إنه لعنَ ـ وهو في السياق ـ مَن فعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإنْ لم يُبْنَ مسجدٌ، وهو معنى قولها: خشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجداً. فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حولَ قبرِه مسجداً وكل موضع قُصِدَت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يُسمَّى مسجداً كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرضُ مَسجداً وطَهُوراً»(٢).

ولأحمد بسندٍ جيِّدٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إنَّ من شِرَار النَّاسِ من تُدْرِكُهُمُ الساعة وهم أحياء، والذين يَتَّخذونَ القبورَ مساجدَ». ورواه أبو حاتم في صحيحه(٣).

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** ما ذكرَ الرسول فيمن بنى مسجداً يُعبَد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحَّت نية الفاعل.
- **الثانية:** النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك.
- **الثالثة:** العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بيَّنَ لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدَّم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (١/ ٣٧٧، ٣٧٨) حديث رقم (٥٣٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (١/ ١٦٨) حديث رقم (٤٢٧) ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) حديث رقم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) (المسند) ١/ ٤٣٥ وابن حبان كما في (موارد الظمآن) ص ١٠٤ حديث رقم (٣٤٠) و (٣٤١) ولم يسق لفظ الطريق الثاني، قال ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم) ٢/ ٦٧٤: (وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود. . . الحديث).

• **الرابعة :** نهيه عن فعله عند قبره قبل أَن يوجد القبر.

• **الخامسة :** أَنَّه من سنن اليهود والنصارى في قبور أَنبيائهم .

• **السادسة :** لعنه إِيَّاهم على ذلك .

• **السابعة :** أَنَّ مراده تحذيره إِيانا عن قبره .

• **الثامنة :** العلة في عدم إِبراز قبره .

• **التاسعة :** في معنى اتخاذها مسجداً .

• **العاشرة :** أَنَّه قَرَنَ بين من اتَّخذَها مسجداً، وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إِلىٰ الشِرك قبل وقوعه مع خاتمته .

• **الحادية عشرة :** ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الردّ على الطائفتين اللتين هما أَشرُّ أَهلِ البدع، بل أَخرجهم بعض أَهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهما الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أَول من بنى عليها المساجد .

• **الثانية عشرة :** ما بُلي به ﷺ من شدة النزع .

• **الثالثة عشرة :** ما أُكْرِمَ به من الخلَّة .

• **الرابعة عشرة :** التصريح بأَنَّها أَعلىٰ من المحبَّة .

• **الخامسة عشرة :** التصريح بأَنَّ الصدِّيق أَفضل الصحابة .

• **السادسة عشرة :** الإِشارة إِلىٰ خلافته .

بـــاب
ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبَدُ من دون الله

رَوىٰ مـالكٌ في المُوطَّأ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال: «**اللهُمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَدُ، اشتدَّ غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أَنبيائهم مساجد**»(١).

ولابن جرير (٢) بسنده عن سُفيان عن منصور عن مجاهد:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

قال: كان يَلُتُّ لهم السويقَ، فمات فعكفُوا على قبره.

وكذا قال أَبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ(٣).

وعن ابن عبـــاس رضي الله عنهما قـــال: «**لَعَنَ رســول الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُور، والمتَّخِذينَ عليها المساجِدَ والسُّرُجَ**». رواه أَهل السنن(٤).

---

(١) (الموطأ ـ مع تنوير الحوالك) ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ (جامع الصلاة) مرسلاً.

(٢) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٢٧/ ٣٥.

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير باب (﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾)، (٤/ ١٨٤١) حديث رقم (٤٥٧٨).

(٤) رواه أبـو داود (السنن) ٣/ ٥٥٨ (كتـاب الجنائز) (بـاب في زيـارة النساء القبـور) حـديث رقم ٣٢٣٦ والترمـذي (السنن) ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧ (كتـاب الصلاة) (بـاب مـا جاء في كـراهية أن يتخـذ على القبر مسجداً). حديث رقم (٣٢٠) وقـال: حـديث حسن. اهــ. وتعقبه المنـذري في (مختصر سنن أبي داود) ٤/ ٣٤٩ بقوله: (وفيها قـاله نظر). ثم حكى أقوال الأئمة في تضعيف أبي صالح بـاذام ـ ويقال بـاذان ـ مـولى أم هانـئ بنت أبي طالـب. وقال ابـن حجر (تقـريب التهـذيب) ١/ ٩٣ في تـرجمتـه: (ضعيف مدلس). والحديث رواه ـ أيضاً ـ النسـائي (السنن) ٤/ ٩٤ ـ ٩٥ (كتاب الجنائز) (بالتغليظ في اتخاذ السرج على القبور) وابن ماجـه (السنن) ١/ ٥٠٢ (كتاب الجنائز) (باب مـا جاء في النهي عن زيارة النساء القبور) حديث ١٥٧٥ دون قوله (والمتخذين...) من طريق باذام.

وقال الألبـاني (قد جـاء غالب الحديث من طـرق أخرى: فلعن زائرات القبـور رواه ابن ماجـة ولعن المتخذين على القبور المساجد متواتـر عنه ﷺ). (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ١/ ٢٥٩ حديث رقم ٢٢٥.

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولــى :** تفسير الأوثان .

• **الثانيـة :** تفسير العبادة .

• **الثـالثـة :** أنَّه ﷺ لم يستعذ إلاَّ مما يخاف وقوعه .

• **الـرابعـة :** قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

• **الخامسة :** ذكر شدة الغضب من الله .

• **السادسة :** ـ وهي من أهمها ـ صفة معرفة عبادة اللاَّت التي هي من أكبر الأوثان .

• **السابعة :** معرفة أنَّه قبر رَجُلٍ صالح .

• **الثامنة :** أنَّه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .

• **التاسعة :** لعنه زوارات القبور.

• **العاشرة :** لعنه من أسرجها .

[التعليـــق :]

بـــاب :

ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ الله عِندَ قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

بـــاب :

ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبَدُ من دون الله

ما ذكـر المصنف في البابين يتضح بذكـر تفصيل القول فيما يُفعَل عنـد قبور الصالحين وغيرهم .

وذلكَ أنَّ ما يُفعَل عندها نوعان : مشروع وممنوع .

أمَّا المشروع فهـو ما شرعه الشـارع من زيارة القبور على الـوجه الشرعي من غير شدّ رحل ، يزورها المسلم متبعاً للسنة فيدعـو لأهلها عموماً ولأقاربه ومعارفه خصـوصاً فيكـون محسناً إليهم بـالـدعاء لهم وطلب العفـو والمغفرة والـرحمة لهم ،

ومحسناً إلىٰ نفسه باتباع السنة وتذكُّر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

أَما الممنوع فإنَّه نوعان :

أحدهما : محرَّم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلىٰ الله بأَهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أَهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنوع الثاني : شرك أَكبر كدعاء أَهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأُخروية منهم، فهذا شرك أَكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأَصنام مع أَصنامهم.

ولا فرقَ في هذا بين أَن يعتقد الفاعل لذلك أَنَّهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أَو متوسطون إلىٰ الله، فإنَّ المشركين يقولون :

﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣]. ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس : ١٨].

فمن زعمَ أَنَّه لا يَكْفُر من دعا أَهلَ القبور حتى يعتقد أَنَّهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأَنَّ من اعتقد أَنَّ الله هو الفاعل وأَنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم [لم] يكفر. من زعم ذلك فقد كذَّبَ ما جاء به الكتاب والسنة، وأَجمعَت عليه الأُمة من أَنَّ من دعا غير الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ في الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أَو متوسطين.

وهذا معلوم بالضرورة من دينِ الإسلام. فعليكَ بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصلَ، ولم ينجُ من فتنته إلاَّ من عرفَ الحقّ واتبعه.



بـــاب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ
جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[التوبة: ١٢٨، ١٢٩]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلُوا بيوتكم قُبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عَلَيَّ، فإنَّ صلاتكم تبلُغني حيث كُنتم**». رواه أبو داود بإسناد حسن[1]. ورواته ثقاتٌ.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه: **أنَّه رأىٰ رجُلاً يجيء إلىٰ فُرجةٍ كانت عندَ قبر النبيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أُحَدِّثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلُغُني حيث كنتم»**. رواه في المختارة[2].

---

(١) (السنن) ٢/ ٥٣٤ (كتاب المناسك) (باب في زيارة القبور) حديث رقم ٢٠٤٢ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٣٢١ عقب ذكره للحديث بإسناد أبي داود: (وهذا إسناده حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه) وصحح النووي إسناده في (الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ) ص ١٠٦، وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيه (عبد الله بن نافع) وهو ابن أبي نافع الصائغ قال فيه الحافظ ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٤٥٦: (ثقة صحيح الكتاب وفي حفظه لين).

(٢) (الأحاديث المختارة) للضياء المقدس ٢/ ٤٩ حديث رقم ٤٢٨ دون قوله (وصلوا عليّ...) وفي إسناده (علي بن عمر) وهو ابن علي بن الحسين قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٤١: (مستور). ونسبه في المطبوع (علي بن عمر بن الحسين وجاء في أصله (تهذيب الكمال) ٢/ ٩٨٦ (علي بن عمر بن علي بن الحسين).

□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولــى :** تفسير آية براءة .
- **الثانيـة :** إبعاده أُمَّته عن هذا الحمى غاية البعد .
- **الثالثـة :** ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .
- **الرابعـة :** نهيه عـن زيارة قبره على وجه مخصـوص ، مع أَنَّ زيارتـه من أَفضل الأَعمال .
- **الخامسـة :** نهيه عن الإكثار من الزيارة .
- **السادسة :** حَـثُّه على النافلة في البيت .
- **السابعـة :** أَنَّه متقرر عندهم أَنَّه لا يصلى في المقبرة .
- **الثامنـة :** تعليل ذلك بـأَنَّ صلاة الرجل وسـلامه عليـه يبلغه وإِنْ بعُـدَ ، فلا حاجة إِلىٰ ما يتوهمه من أَراد القرب .
- **التاسعة :** كونه ﷺ في البرزخ تعرض أَعمال أُمته في الصلاة والسلام عليه .

[التعليــــق :]

بـــــاب :

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التـوحيد وسده كل طريق يوصل إِلىٰ الشرك

من تـأَمَّل نصوص الكتـاب والسنة في هـذا الباب رأىٰ نصـوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل مـا يقوي التوحيد وينميـه ويغذيه ، من الحث على الإنـابة إِلىٰ الله وانحصار تعلُّق القلب بالله رغبة ورهبة ، وقـوة الطمع في فضله وإِحسانه والسعي لتحصيل ذلك ، وإِلىٰ التحـرر من رق المخلـوقين وعـدم التعلُّق بهم بـوجـهٍ من الوجوه ، أَو الغلوّ في أَحد منهم ، والقيام التام بالأَعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصاً حثّ النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده .

ثم في مقابلة ذلك نهىٰ عن أَقوال وأَفعـال فيها الغلو بالمخلوقين ، ونهى عن التشبُّه بالمشركين لأَنَّه يدعو إِلىٰ الميل إِليهم .

ونهىٰ عن أَقـوال وأَفعـال يخشى أَن يتـوصل بها إِلىٰ الشرك كـل ذلك حمايـة للتوحيد .

ونهى عن كل سبـب يـوصل إِلىٰ الشرك ، وذلـك رحمةً بـالمؤمنين ليتحققـوا بـالقيام بما خلقـوا له مـن عبوديـة الله الظاهـرة والبـاطنة وتكميلهـا ، لتكمل لهم السعادة والفلاح .

وشواهد هذه الأُمور كثيرة معروفة .



بـــاب
ما جاءَ أَنَّ بعض هذه الأُمة يعبد الأَوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

[النساء: ٥١]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

[الكهف: ٢١]

عن أَبي سعيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم، حذْو القُذَّةِ بالقذة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتمُوهُ». قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَن؟». أَخرجاه[1].

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الله زوىٰ لي الأَرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإِنَّ أُمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوي لي منها، وأُعطيتُ الكنزين: الأَحمرَ والأَبيض، وإِني سأَلتُ ربِّي لأُمَّتي أَن لايُهلِكها بسنةٍ بِعَامة، وأَن لا يُسَلِّطَ عليهم عدُوًّا من سِوى أَنفسِهِم، فيستبيح بيضتَهُمْ، وإِنَّ ربي قال: يا محمد، إِنِّي إِذا قضيتُ قضاءً فإِنَّه لايُردُّ، وإِنِّي أَعطيتك لأُمَّتِكِ أَن لا أُهلكهم بسنةٍ بعامةٍ، وأَن لا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سِوىٰ أَنفسِهِم فيستبيح

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٦/٢٦٦٩) حديث رقم (٦٨٨٩). ومسلم: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارىٰ (٤/٢٠٥٤) حديث رقم (٢٦٦٩).

بيضتهم، ولو اجتمعَ عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضُهُم يُهلِكُ بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»(١).

ورواهُ البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنَّما أخافُ على أُمَّتي الأئمَّة المُضلِّين، وإذَا وقعَ عليهم السيف لم يُرفعْ إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أُمَّتي بالمشركين، وحتى تعبُدَ فِئَامٌ من أُمَّتي الأوثان، وإنَّه سيكون في أُمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يَزْعُمُ أنَّه نبيٌّ، وأنَا خاتَمُ النبيين، لانبيَّ بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِ منصورةٌ، لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله تبارك وتعالى»(٢).

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** تفسير آية النساء.
- **الثانية:** تفسير آية المائدة.
- **الثالثة:** تفسير آية الكهف.
- **الرابعة:** ـ وهي أهمُّها ـ: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.
- **الخامسة:** قولهم: إنَّ الكفَّار الذين يعرفون كفرهم أهْدىٰ سبيلاً من المؤمنين.
- **السادسة:** ـ وهي المقصود بالترجمة ـ أنَّ هذا لابدَّ أن يوجد في هذه الأُمة كما تقرر في حديثِ أبي سعيدٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك الأُمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩).

(٢) هذه الزيادة رواها من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أبو داود: (السنن) ٤/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ (باب في ذكر الفتن ودلائلها) حديث رقم (٤٢٥٢) وابن ماجه: (السنن) ٢/ ١٣٠٤ (كتاب الفتن) (باب ما يكون في الفتن) حديث رقم (٣٩٥٢) والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٢٧٨ و٢٨٤. والحديث سكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٦/ ١٣٦ ـ ١٣٨.

• **السابعة :** تصريحه بوقوعها : أُعني عبادة الأَوثان في هذه الأُمة في جموع كثيرة .

• **الثامنة :** العجب العجاب : خروج من يدَّعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأَنَّه من هذه الأُمَّة ، وأَنَّ الرسول حقّ ، وأَنَّ القرآن حقّ ، وفيه أَنَّ محمداً خاتَمُ النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرجَ المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

• **التاسعة :** البشارة بأَنَّ الحقّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

• **العاشرة :** الآية العظمى : أَنَّهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم .

• **الحادية عشرة :** أَنَّ ذلك الشرط إِلىٰ قيام الساعة .

• **الثانية عشرة :** ما فيه من الآيات العظيمة منها :

إِخباره بأَنَّ الله زوى له المشارق والمغارب ، وأَخبرَ بمعنى ذلك فوقع كما أَخبرَ بخلاف الجنوب والشمال .

وإِخباره بأَنَّه أُعطي الكنزين .

وإِخباره بإِجابة دعوته لأُمته في الاثنتين .

وإِخباره بأنه مُنع الثالثة .

وإِخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إِذا وقع .

وإِخباره بإِهلاك بعضهم بعضاً ، وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أُمَّته من الأَئمة المضلين .

وإِخباره بظهور المتنبئين في هذه الأُمة .

وإِخباره ببقاء الطائفة المنصورة .

وكل هذا وقعَ كما أَخبرَ مع أَنَّ كل واحدةٍ منها من أَبعد ما يكون في العقول .

• **الثالثة عشرة :** حصر الخوف على أُمته من الأَئمة المضلين .

• **الرابعة عشرة :** التنبيه على معنى عبادة الأَوثان .

[التعليق :]

بـــاب:
ما جاء أَنَّ بعض هذه الأُمَّة يعبُدُ الأَوثان

مقصود هـذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وأَنَّه أَمـرٌ واقعٌ في هذه الأُمة لا محالـة ، والرد على من زَعمَ أَنَّ من قال : لا إلـٰه إلاَّ الله ، وتسمَّى بـالإسلام أَنَّه يبقىٰ على إسلامه ولـو فعل ما ينـافيه مـن الاستغاثة بـأَهل القبور ودعـائهم ، وسمَّى ذلك توسُّلاً لا عبادة فإنَّ هذا باطل .

فـإنَّ الـوثن اسم جـامـع لكل مـا عُبِـدَ من دون الله لا فـرقَ بين الأَشجـار والأَحجار والأَبنيـة ، ولا بين الأَنبياء والصالحين والطـالحين في هذا الموضع ــ وهو العبادة ــ فإنَّها حقّ الله وحـده ، فمن دعَا غير الله أَو عبـده فقد اتخذه وثنـاً وخرجَ بـذلك عن الدِّين ، ولم ينفعـه انتسابـه إلىٰ الإسلام ، فكم انتسبَ إلىٰ الإسـلام من مشركٍ وملحِـدٍ وكافـر ومنافق والعبرة بـروح الدين وحقيقتـه لا بمجرد الأَسَـامي والأَلفاظ التي لا حقيقة لها .

باب
ما جاء في السحر

وقولِ الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ . [البقرة : ١٠٢]

وقوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء : ٥١] .

قال عمرُ: الجِبتُ : السِّحْر ، والطَّاغوتُ : الشيطانُ[١] .

وقـال جابـرٌ: «الطَّواغيتُ كُهَّـانٌ كـان يَنزل عليهم الشيطـان ، في كلِّ حَيٍّ واحدٌ»[٢] .

وعن أَبي هـريـرة رضي الله عنـه ، أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال : «اجتنبـوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ» قـالـوا: يا رسـول الله ومـا هُنَّ؟ قـال: «الشِّرْكُ بالله ، والسحـرُ، وقتلُ النفْس التي حـرَّمَ الله إلَّا بـالحقِّ ، وأَكلُ الـرِّبـا ، وأَكل مـال اليتيم ، والتَّـوَلِّي يـومَ الزَّحْفِ ، وقذفُ المحصناتِ الغافلات المؤمنات»[٣] .

---

(١) رواه البخـاري (الصحيح) ٤/ ١٦٧٣ (كتـاب التفسير) (باب وإن كنتم مـرضى أو على سفـر أو جاء أحـد منكم من الغـائط) [سورة المائدة : ٦] معلقاً قـال ابن حجر (فتـح الباري) ٨/ ٢٥٢ : (وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنـده، وعبد الرحمن بن رستة في كتاب الإيمان . . . وإسناده قوي. اهـ).

(٢) رواه البخاري (الصحيح) ٤/ ١٦٧٣ (كتـاب التفسير) (باب وإن كنتم مرضى . . .) معلقـاً قال ابن حجر (فتح الباري) ٨/ ٢٥٢ : (وصله ابن أبي حاتـم . . . فذكره وسكت عنه، وكذا سكت عنه في (تغليق التعليق) ٤/ ١٩٥ .

(٣) رواه البخاري : كتاب الـوصايا باب قـول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٣/ ١٠١٧ ، ١٠١٨) حـديث رقم (٢٦١٥). ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٢) حديث رقم (٨٩) .

وعن جُنْدَبٍ مرفوعاً: «حَدُّ الساحِرِ ضَرْبهُ بالسَّيْفِ». رواه الترمذي. وقال: الصحيحُ أَنَّه موقوف[١].

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَن اقتلُوا كلَّ ساحِرٍ وساحرةٍ، قال: فقتلنا ثلاث سواحِر[٢].

وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها أَنَّها أمرتْ بقتلِ جارية لها سَحرتها، فَقُتلَتْ[٣]. وكذلك صحَّ عن جُنْدَبٍ[٤]. قال أَحمد: عن ثلاثة من أَصحاب النبي ﷺ.

☐ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** تفسير آية البقرة.

• **الثانية:** تفسير آية النساء.

• **الثالثة:** تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

---

(١) (سنن الترمذي) ٤/ ٦٠ (كتاب الحدود) (باب ماجاء في حد الساحر) حديث رقم ١٤٦٠ وقال: (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث... والصحيح عن جندب موقوف). وضعف المرفوع - أيضاً - الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ١٠/ ٢٣٦ وقال: (في سنده ضعف. اهـ).

(٢) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (٣/ ١١٥١) حديث رقم (٢٩٨٧). لكن لم يذكر قتل السواحر، أما الحديث بلفظه فقد رواه أحمد (١/ ١٩٠ - ١٩١) وأبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس (٣/ ٤٣١) حديث رقم (٣٠٤٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٢٤).

(٣) رواه البيهقي (السنن الكبرى) ٨/ ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح).

(٤) قال البخاري (التاريخ الكبير) ٢/ ٢٢١ في ترجمة (جندب بن كعب): (قاتل الساحر) ثم روى بسنده قال: حدثنا إسحاق حدثنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عثمان كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ورواه - أيضاً - البيهقي (السنن الكبرى) ٨/ ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح).

- **الرابعة :** أَنَّ الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإِنس .
- **الخامسة :** معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .
- **السادسة :** أَنَّ الساحر يكفر.
- **السابعة :** أَنَّه يقتل ولا يُستتاب .
- **الثامنة :** وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده؟ .

بـــاب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أَحمد : حـدَّثنا محمـد بن جعفر، حدَّثنـا عُوفٌ عن حيَّـان بن العلاءِ، حدَّثنـا قطنُ بن قُبيصة عـن أَبيه ، أَنَّه سمعَ النبـي ﷺ قال : **«إِنَّ العِيافـة والطَّرْق والطِّيرة مِن الجِبْتِ»** .

قـال عــوفٌ : العِيـافـةُ : زَجْـرُ الطَيْرِ، والطَّـرْقُ : الخَطُّ يُخَطُّ بـالأَرض . والجبتُ : قال الحسنُ : إنّه الشيطانَ . إسناده جيد .

ولأَبي داود والنسائي وابن حِبَّان في صحيحه المُسْنَدُ منه(١) .

وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قــال : قـال رسـول الله ﷺ : **«مَن اقتبسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجومِ فقد اقتبسَ شُعبَةً من السِّحرِ، زاد ما زاد»** . رواه أَبو داود وإِسناده صحيحٌ(٢) .

---

(١) رواه الإمـام أحمد (المسنـد) ٣/ ٤٧٧ و٥/ ٦٠ كما ذكــر المؤلف، وأبـو داود في (السنن) ٤/ ٢٢٨ (كتـاب الطب) (بـاب في الخط وزجـر الطير) حـديث رقم ٣٩٠٧، والنسـائي في (الكبرى) في (كتـاب التفسير) كما في (تحفة الأشراف) ٨/ ٢٧٥ وابن حبـان (موارد الظمآن) ص ٣٤٥ حـديث رقم (١٤٢٦) قـال النووي (ريـاض الصـالحين) ص ٥٩١ حديث رقم ١٦٧٨ : (رواه أبـو داود بإسناد حسن) . وضعفه بالإضطـراب الألباني في (غاية المرام في تخريج الحلال والحرام) ص ١٨٤ لاختـلاف الـرواة في إسناده عن عـوف ــ وهـو ابن أبي جميلـة ـ حيث قـال بعضهم : (حيـان) لم ينسبه، وقال بعضهم : (حيان أبي العلاء)، وقـال بعضهم : (حيان بن العلاء)، وقال بعضهم : (حبان بن مخارق أبي يعلى) .

(٢) (السنن) ٤/ ٢٢٦ (كتـاب الطب) (بـاب في النجوم) حـديث رقم ٣٩٠٥ ولفظـه : (من اقتبس علماً من النجوم) ولم يقل (شعبة)، ورواه ـ أيضاً ــ ابن ماجة (السنن) ٢/ ١٢٢٨ (كتاب الأدب) (باب تعلم النجـوم) . قال النووي (رياض الصـالحين) ص ٥٩١ حديث رقم (١٦٧٩) : (رواه أبو داود بإسناد صحيح) . وقال مثله الذهبي كما عزاه إليه المناوي في (فيض القدير) ٦/ ٨٠ وذكر أنـه في (الكبـائر)، وقـد ذكـر الإمـام الـذهبي هـذا الحديث في (الكبـائر) في (الكبيرة السـادسـة والأربعون) ولم أقف على ما نسبه إليه المناوي ـ رحمه الله ـ .

وللنسائي من حديث أَبي هريرة : «من عقدَ عُقْدَةً ثم نَفثَ فيها فقد سحرَ، ومن سحرَ فقد أَشركَ. ومن تعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إِليه»(١).

وعن ابن مسعود أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «أَلاَ هل أُنبِّئُكم ما العَضهُ؟ هي النَّميمةُ، القالةُ بين الناس». رواه مسلم(٢).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ من البيانِ لَسِحراً»(٣).

☐ فيـــه مســـائل :

- **الأولى :** أَنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت.
- **الثانية :** تفسير العيافة والطرق.
- **الثالثة :** أَنَّ علم النجوم نوع من أَنواع السحر.
- **الرابعة :** أَنَّ العقد مع النفث من ذلك.
- **الخامسة :** أَنَّ النميمة من ذلك.
- **السادسة :** أَنَّ من ذلك بعض الفصاحة.

---

(١) (السنن) ٧/ ١١٢ (كتاب تحريم الدم) (الحكم في السحرة) حديث رقم ٤٠٧٩ قال الذهبي (ميزان الاعتدال) ٢/ ٣٧٨ : (هذا الحديث لا يصح للين عباد، وانقطاعه). يريد بالانقطاع رواية الحسن له عن أبي هريرة، ولقوله (من تعلق شيئاً وكل إليه). شاهد من حديث عبد الله بن عكيم يرتقي به المنزلة الحسن لغيره وقد تقدم (باب ما جاء في الرقى والتمائم).

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (٤/ ٢٠١٢) حديث رقم (٢٦٠٦) وزاد فيه : (وأن محمداً ﷺ قال : أن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب كذاباً).

(٣) رواه البخاري : كتاب النكاح باب الخطبة (٥/ ١٩٧٦) حديث رقم (٤٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم : كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٤) حديث رقم : (٨٦٩) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

[التعليق:]

بـــاب السحـــر

وباب شيء من أنواع السحر

وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أنَّ كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلاَّ بالشركِ والتوسل بالأرواح الشيطانية، إلىٰ مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره.

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلُّق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلىٰ ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضاً من التصرفات المحرَّمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطْفِ والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعيَّن قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده.

ومن أنواعه الواقعة في كثير من الناس النميمة، لمشاركتها للسحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور.

فالسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض.

بــاب
ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

روى مسلـم في صحيحـــــه عن بعـض أزواج النبـيِّ ﷺ عن النبـي ﷺ قال: **«مَن أَتىٰ عَرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تُقبَل له صلاة أربعين يوماً»** [(١)].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: **«مَن أَتىٰ كاهناً فصـدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ»**. رواه أبو داود[(٢)].

ولـلأربعـةِ والحاكم، وقـال: صحيح على شرطهما، عن [(٣)]: **«من أَتىٰ عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقَه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد ﷺ»**. [(٤)]

ولأبي يَعْلىٰ بسندٍ جيد عن ابن مسعودٍ مثلُهُ موقوفاً.

---

(١) رواه مسلم: كتـاب السلام بـاب تحريم الكهـانـة وإتيان الكهَّـان (٤/ ١٧٥١) حـديث رقم: (٢٢٣٠). دون زيادة لفظة «فصدقه» وهي عند أحمد (٤/ ٦٨) (٥/ ٣٨٠).

(٢) (السنن) ٤/ ٢٢٥ (كتـاب الطب) (بـاب في الكـاهن) حـديث رقـم (٣٩٠٤) قـال الترمـذي (السنن) ١/ ٢٤٢ حـديث (١٣٥): (وضعـف محمـد هـذا الحديث من قبل إسنـاده). وقـال المناوي (فيض القـدير) ٦/ ٢٤: (قـال البغوي: سنده ضعيف. وهـو كما قال. وقـال ابن سيد الناس: فيه أربع علـل: التفرد عن غير ثقة وهو موجب للضعـف، وضعف رواته، والانقطاع، ونكـارة متنه. وأطال في بيـانـه. وقـال الـذهبي في (الكبـائر) ليس إسنـاده بالقـائم... وقـال البخاري: لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة. اهـ).

(٣) قـال الشيخ عبدالـرحمن بن حسن آل الشيخ في «فتح المجيد» ص٢٥٦: هكـذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) ليس هو عند الأربعـة بلفظ (من أتى عرافاً أو كاهنـاً) وإنما رووه بلفظ (من أتى كاهناً) فقط دون ذكـر العراف، ولفظ المؤلف رواه الحاكم ــ كما قـال ــ (المستـدرك) ١/ ٨٨ وقـال: (هذا حـديث صحيح على شرطهما جميعاً من حـديث ابن سيرين ولم يخرجاه). وقـال الذهبي: (على شرطهما). وقال المنـاوي (فيض القدير) ٦/ ٢٣: (قـال الحافظ العراقي في أماليـه: حديث صحيح، ورواه عنه البيهقي في (السنن) ٨/ ١٣٥ فقال الذهبي: إسناده قوي. اهـ).

وعن عمران بن حُصين مرفوعاً: «**لَيْسَ مِنَّا مَن تطيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أَتىٰ كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بِما أُنْزِلَ على محمد ﷺ**». رواه البزَّارُ بإسنادٍ جيِّدٍ[١].

ورواه الطَّبراني في الأوسط بإسنادٍ حسنٍ من حديث ابن عباس دون قوله «**ومن أَتىٰ**» إلىٰ آخرِه[٢].

قال البغويُّ: العَرَّافُ: الذي يَدَّعي معرفة الأُمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهنُ. والكاهنُ: هو الذي يُخبِرُ عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخبرُ عما في الضمير.

وقال أَبو العباس بن تيمية: العَرَّافُ اسمٌ للكاهن والمُنَجِّم والرَّمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأُمور بهذه الطرُقِ.

وقال ابن عباس في قوم يكتُبون «أَبا جادٍ» وينظرون في النُّجوم: ماأَرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خلاقٍ[٣].

---

(١) رواه الطبراني (المعجم الكبير) ١٠/ ٩٣ حديث رقم (١٠٠٠٥) قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٨: (... رجال الكبير والبزار ثقات). وقال المنذري (الترغيب والترهيب) ٤/ ٣٦: (رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفاً). ولم أقف عليه في (كشف الأستار عن زوائد البزار) للهيثمي (كتاب الطب) منه.

(٢) كما في (كشف الأستار) ٣/ ٣٩٩ ــ ٤٠٠ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر) حديث رقم ٣٠٤٤ من طريق شيبان عن أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعاً وزاد فيه: (ومن عقد عقدة أو قال عُقد عُقدة). قال البزار: (قد روى بعضه من غير وجه فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن عمران بهذا الطريق، وأبو حمزة بصري لا بأس به). وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٧: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. اهـ).
ورواه ــ أيضاً ــ البزار كما في (كشف الأستار) ٣/ ٣٣٩ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر). حديث رقم ٣٠٤٣ من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. قال البزار: (لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه). قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٧: (فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف. اهـ).

(٣) رواه عبد الرزاق (المصنف) ١١/ ٢٦ حديث رقم ١٩٨٠٥ نحوه.

□ فيــه مســـائل :

• **الأولــى** : أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

• **الثانيـة** : التصريح بأنَّه كفر.

• **الثـالثـة** : ذكر من تُكُهِّنَ له .

• **الرابعـة** : ذكر من تُطُيِّرَ له .

• **الخامسـة** : ذكرُ من سُحِرَ له .

• **السادسة** : ذكْر من تعلَّم أَبا جاد .

• **السابعة** : ذكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف .

[التعليــق :]

بــــاب :

ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

أَي من كل من يـدَّعي علم الغيب بـأَي طـريق من الطـرق . وذلك أَنَّ الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادَّعىٰ مشـاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أَو عـرافـة أَو غيرهما أَو صـدَّق من ادَّعىٰ ذلـك ، فقـد جعلَ لله شريكـاً فيما هـو من خصائصه ، وقد كذَّبَ الله ورسوله .

وكثير من الكهـانـة المتعلقـة بالشيـاطين لا تخلـو من الشرك ، والتقـرُّب إلىٰ الوسـائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبيـة ، فهو شرك من جهـة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختصَّ به ، ومن جهة التقرُّب إلىٰ غير الله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأَديان والعقول .

بـــاب
ما جاء في النشـــرة

عن جـابـر: أَنَّ رسـولَ الله ﷺ سُئِلَ عـن النُّشْرةِ فقـال: «هي من عمل الشيطان»[١]. رواه أَحمد بسندٍ جيدٍ، وأَبو داود وقال: سُئِلَ أَحمد عنها فقال: ابن مسعود يَكره هذا كلَّه.

وفي البخاري[٢] عن قتـادة: قلتُ لابن المُسيَّب: رجلٌ بـه طبٌّ أَوَ يؤخَـذُ عن امرأته، أَتحلُّ عنه أَو يُنْشَرُ؟ قال: لا بأْسَ به، إِنَّما يريدون به الإِصلاح، فأَما ما ينفع فلم يُنهَ عنه. إ هـ.

ورُوِي عن الحسن أَنَّه قال: لا يحلُّ السحرَ إِلاَّ ساحِرٌ.

قال ابنُ القيِّم: النُّشْرةُ حلُّ السحرِ عن المسحور، وهي نوعان:

أَحدهما: حلّ بسحر مثلِه، وهو الـذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمَل قـولُ الحسن، فيتقـرَّب النـاشر والمنتشر إِلىٰ الشَّيطـان بما يُحبُّ، فيبطِلُ عملـه عن المسحور.

والثاني: النُّشرةُ بالرُّقْيةِ والتعوذات والأَدوية والدعوات المباحة فهذا جائزٌ.

□ **فيـــه مســـائل**:

• **الأولـى**: النهي عن النُّشرة.

• **الثانيـة**: الفرق بين المنهي عنه والمرخَّص فيه، مما يزيل الإِشكال.

---

(١) (المسنـد) ٣/ ٢٩٤، و(سنن أبي داود) ٤/ ٢٠١ (كتـاب الطب) (بـاب في النشرة) حـديث رقم ٣٨٦٨ وإسنـاده حسن لأجل (عقيل بن معقل) وهـو ابن منبـه اليماني ابن أخي وهب قـال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٩: صدوق.

(٢) (الصحيح) ٥/ ٢١٧٥ (كتاب الطب) (بـاب هل يستخرج السحـر، وقال قتـادة: قلت لسعيد ابن المسيب: رجل به طب... فذكره معلقاً. قال ابن حجر (تغليق التغليق) ٥/ ٤٩): وصله الطبري في (تهذيب الآثار). (إسنـاده صحيح. اهـ). وكـذا وصله ابن عبـد البر في (التمهيد) وصحح ابن حجر إسناده أيضاً.

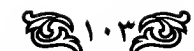
[التعليق]

بــــاب :

النشـــــرة

وهــو حل السحــر عن المسحــور، ذكــرَ فيــه المصنــف كــلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.





باب
ما جاء في التطيُّر

وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[الأعراف: ١٣١]

وقولِه: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

عن أَبي هـريـرة رضي الله عنـه، أَنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال: **«لا عدوىٰ، ولا طِيرة، ولا هامَةَ، ولا صَفَر»**. أَخرجاه(١).

زادَ مُسلِمٌ: **«ولا نوْء، ولا غُولَ»**(٢).

ولهما عن أَنسٍ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **«لا عَـدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ويُعجبُني الفألُ»**، قالوا: وما الفألُ؟ قال: **«الكلمةُ الطيبة»**(٣).

ولأَبي داود بسنـدٍ صحيحٍ، عن عـروة بن عامـر، قـال: ذُكِرَت الطِّيَرةُ عنـد رسولِ الله ﷺ فقالَ: **«أَحسنُها الفألُ، ولا تَرُدُّ مسلمًا، فإذا رأىٰ أَحدُكم ما يكره،**

---

(١) رواه البخاري: كتـاب الطب، بـاب لاهـامـة ولا صفـر (٥/ ٢١٧١ ـ ٢١٧٢) حـديث رقم (٥٤٢٥). ومسلم: كتـاب السلام بـاب لا عـدوى ولا طيرة ولا هـامة ولا صفـر (٤/ ١٧٤٢) حديث رقم (٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم: كتـاب السـلام بـاب لا عــدوى ولا طيرة ولا هـامـة ولا صفـر ولا نـوء ولا غـول (٤/ ١٧٤٤)حديث رقم (٢٢٢٠) و(٢٢٢٢) قولـه: لا نوء من حديث أبي هريـرة، وقوله: لا غول من حديث جابر.

(٣) رواه البخاري: كتـاب الطب باب لا عـدوى (٥/ ٢١٧٨) حديث رقم: (٥٤٤٠)، ومسلم: كتـاب السلام بـاب الطيرة والفأل ومـا يكـون فيه من الشـؤم (٤/ ١٧٤٦) من حـديث أَنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٢٢٢٤).

فليقل: اللهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنتَ، ولا يَدْفع السيئات إلاَّ أنتَ، ولا حولَ ولا قوة إلاَّ بك»[١].

وله من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «الطيرةُ شِرْكٌ، الطيرةُ شِركٌ، وما مِنَّا إلاَّ... ولكن الله يُذْهبُهُ بالتوكُّل». رواه أبو داود والترمذي وصححه[٢]. وجعلَ آخِرهُ من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردَّتْه الطِّيَرَةُ عن حاجته فقد أشْرَكَ»، قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: «أنْ يقول: اللهم لا خيرَ إلاَّ خيرك، ولا طيرَ إلاَّ طيْرُك، ولا إلـه غيْرُك»[٣].

---

(١) (السنن) ٤/ ٢٣٥ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٩ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٥/ ٣٧٩: (عروة ـ هذا ـ قيل فيه القرشي... وقيل فيه: الجهني حكاهما البخاري، وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح، وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً). وقال ابن حجر (تهذيب التهذيب) ٧/ ١٨٥: (عروة بن عامر القرشي، ويقال الجهني روى عن النبي ﷺ مرسلاً في الطيرة). وقال: (أثبت غير واحد له صحبة، وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً، والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة). قلت: وهذا الحديث من رواية حبيب ـ وهو ابن أبي ثابت ـ عنه، وانظر ـ أيضاً ـ (الإصابة في تمييز الصحابة) ٦/ ٤١٥ في ترجمة (عروة بن عامر).

(٢) (سنن أبي داود) ٤/ ٢٣٠ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٠ و(سنن الترمذي) ٤/ ١٦١ (كتاب السير) (باب ما جاء في الطيرة) حديث رقم ١٦١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وقال ـ أيضاً ـ: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل. قال سليمان: هذا عندي من قول عبد الله ابن مسعود: وما منا. اهـ).

(٣) (المسند) ٢/ ٢٢٠ من طريق حسن ثنا ابن لهيعة أنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً... الحديث وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٤٤٤ (صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما). وهذا من رواية الحسن بن موسى الأشيب عنه.

وله من حديث الفضل بنِ عباس: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ ما أَمضاك أَو ردَّكَ**»[1].

□ **فيــه مســائل:**

• **الأولــى:** التنبيـه على قولـه: «**إنما طائرهم عند الله**» مع قولـه «**طائركم معكم**».

• **الثانيـة:** نفي العدوى.

• **الثالثـة:** نفي الطيرة.

• **الرابعـة:** نفي الهامة.

• **الخامسـة:** نفي الصفر.

• **السادسة:** أَنَّ الفأل ليس من ذلك، بل مستحبٌّ.

• **السابعة:** تفسير الفأل.

• **الثامنـة:** أَنَّ الواقـع في القلوب من ذلك مع كـراهته لا يضر، بل يـذهبه الله بالتوكل.

• **التاسعة:** ذكر ما يقول من وجده.

• **العـاشرة:** التصريح بأَنَّ الطيرة شِرْك.

• **الحادية عشرة:** تفسير الطيرة المذمومة.

[التعليــق:]

بــــاب:

الطيـــــرة

وهو التشاؤم بالطيور والأَسماء والأَلفـاظ والبقاع وغيرها، فنهىٰ الشارع عن التطيُّر وذمّ المتطيرين، وكان يحبُّ الفأل ويكره الطيرة.

---

(١) (المسند) ١/ ٢١٣ من طريق حماد بن خالد ثنا ابن علاثة عن مسلمة الجهني قال: سمعته يحدث عن الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً. . . وفي آخره: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك. و(ابن علاثة) هو محمد بن عبد الله بن علاثة قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٧٩: (صدوق يخطئ. اهـ).

والفرق بينهما: أَنَّ الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغيرِ الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

وصِفة ذلك أَنْ يعزِم العبد على سفر أَو زواج أَو عقد من العقود أَو على حالة من الأَحوال المهمَّة ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أَو يسمع كلامًا يسره مثل يا راشد أَو سالم أَو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأَمر الذي عزمَ عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأَما الطيرة فإِنَّه إذا عزمَ على فعلِ شيءٍ من ذلك من الأُمور النافعة في الدِّين أو في الدُّنيا، فيرى أَو يسمع ما يكره أَثَّر في قلبه أَحد أمرين، أَحدهما أَعظم من الآخر.

أحدهما: أَن يستجيب لذلك الدَّاعي فيترك ما كان عازمًا على فعله أَو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأَمرِ الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علَّقَ قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرفَ ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شكَّ أَنَّه على هذا الوجه أَثَّر على إيمانه وأَخلَّ بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عمَّا يُحدِثهُ له هذا الأَمرِ من ضعفِ القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلُّقه بالأَسباب وبأمور ليست أَسبابًا، وانقطاع قلبه من تعلُّقِه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكُّل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أَن لا يستجيب لذلك الدَّاعي ولكنه يؤثِّر في قلبه حزنًا وهمّاً وغماً، فهذا وإِنْ كانَ دونَ الأَول لكنه شرٌّ وضررٌ على العبد، وضعفٌ لقلبه وموهنٌ لتوكله، وربما أَصابه مكروه فظنَّ أَنَّه من ذلك الأَمر فقوي تطيُّره، وربما تدرجَ إِلىٰ الأَمرِ الأَول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمَّها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكُّل.

وينبغي لمن وجدَ شيئًا من ذلك وخافَ أَن تغلبه الدواعي الطبيعية أَن يُجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركَن إِليها بوجهٍ لينَدفِع الشرَّ عنه.

بـــاب
ما جاءَ في التنجيم

قال البخاري في صحيحه[(١)]: قالَ قَتَادةُ: خَلقَ الله هـذه النجومَ لثلاثٍ: زينةً للسماءِ، ورجومًا للشياطين، وعـلاماتٍ يُهتَدَىٰ بها، فمن تأوّلَ فيها غير ذلك أَخطأَ وأَضاع نصيبه، وتكلَّفَ ما لا عِلْمَ له به. انتهى.

وكره قتادة تعلُّمَ منازِلِ القمرِ، ولم يُرخِّص ابنُ عُيينة فيه، ذكرهُ حربٌ عنهما.

ورخَّصَ في تعلُّم المنازل أَحمد وإِسحاق.

وعن أَبي مـوسى قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**ثـلاثـةٌ لايدْخُلـونَ الجنـة: مُـدْمِنُ الخمـر، وقـاطِعُ الرَّحِـم، ومُصَدِّقٌ بـالسِّحْـرِ**». رواه أَحمد وابن حبَّـان في صحيحه[(٢)].

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى:** الحكمة في خلق النجوم.
- **الثانيــة:** الرد على من زَعمَ غير ذلك.
- **الثالثـة:** ذكر الخلاف في تعلم المنازل.
- **الرابعـة:** الوعيد فيمن صدَّقَ بشيءٍ من السحرِ، ولو عرف أَنَّه باطل.

---

(١) رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق بابٌ في النجوم (٣/ ١١٦٨ ـ ١١٦٩).

(٢) (المسند) ٤/ ٣٩٩ و(مـوارد الظمآن) ص ٣٣٥ حديث رقم ١٣٨٠ و ١٣٨١ قـال الهيثمي (مجمع الـزوائد) ٥/ ٧٤: (رواه أحمد وأبـو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقـات. اهــ) ورواه ـ أيضاً ــ الحاكم (المستدرك) ٤/ ١٤٦ وقـال: (هذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجـاه). وقال الذهبي: صحيح. اهـ. وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيـه (أبا حريز) وهو عبد الله بن الحسين الأزدي قـال الـذهبي (ميزان الاعتـدال) ٢/ ٤٠٦: (فيـه شيء). وقـال المزي (تهذيب الكمال) ٢/ ٦٧٥: (استشهـد به البخـاري في الصحيح وروى لـه في الأدب). وقـال ابن حجر (هـدي الساري) ص ٤٥٧: (وثقة أبو زرعة واختلف فيه قول يحيى بن معين، وضعفه النسائي. اهـ).

[التعليــق :]

بــــاب :

ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان :

نـوع يُسمّى علم التأثير : وهو الاستـدلال بالأَحـوال الفلكية على الحوادث الكـونيـة ، فهذا بـاطلٌ ودعـوىٰ لمشـاركـة الله في علـم الغيب الذي انفـردَ بـه ، أَو تصديق لِمَن ادَّعىٰ ذلك ، وهـذا ينافي التـوحيد لما فيه من هـذه الدعوىٰ البـاطلة ، ولما فيـه من تعلُّق القلب بغيرِ الله ، ولما فيـه من فساد العقـل ، لأَنَّ سلوك الطـرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأَديان .

النوع الثـــاني : علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمسِ والقمر والكواكب على القبلة والأَوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأْسَ به ، بل كثيرٌ منه نافعٌ قد حثَّ عليه الشـارع ، إذا كانَ وسيلـة إلىٰ معرفة أَوقـات العبادات ، أَو إلىٰ الاهتـداء به في الجهات .

فيجب التفريق بين ما نهىٰ عنـه الشارع وحرمه ، وبين ما أَبـاحه أَو استحبه أَو أَوجبه ، فالأَول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .



بـــاب
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أَبي مـالك الأَشعريِّ رضي الله عنـه، أَنَّ رسول الله ﷺ قـال: **«أربعٌ في أُمَّتي من أَمـرِ الجاهليـة لا يتركـونهنَّ: الفخرُ بـالأَحسـاب، والطعنُ في الأَنسـاب والاستسقاءُ بالنجوم، والنِّياحة»**.

وقال: **«النائحـةُ إِذا لم تَتُب قبل موتها تُقـامُ يوم القيـامةِ وعليهـا سِرْبَالٌ من قَطرانٍ، ودِرْعٌ من جَرَبٍ»**. رواه مسلم(١).

ولهما عن زيدِ بن خـالد رضي الله عنه، قال: صلَّى لنـا رسول الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ بـالحُديبيـة على إِثْـرِ سماءٍ كـانت من الليل، فلمَّا انصرفَ أَقبلَ على النـاسِ فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟»**. قالوا: الله ورسوله أَعلمُ، قال: **«قال: أَصبحَ من عِبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأَمَّا من قال: مُطِرْنا بفضلِ الله ورحمتِهِ، فذلك مؤمنٌ بي كـافرٌ بالكوكب، وأَمَّـا من قال: مُطِرْنَا بنـوءِ كذا وكذا، فذلك كـافرٌ بي مؤمِنٌ بالكوكب»**(٢).

ولهما(٣) من حديث ابـن عباس معناه، وفيـه: قال بعضهـم: «لَقَـد صدقَ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤) حديث رقم (٩٣٤).

(٢) رواه البخـاري: كتاب الاستسقـاء بـاب قول الله تعـالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١/ ٣٥١) حديث رقم (٩٩١). ومسلم: كتاب الإيمان بـاب بيان كفر من قال مطرنـا بالنوء، (١/ ٨٣ ـ ٨٤) حديث رقم (٧١).

(٣) رواه مسلم: كتـاب الإيمان باب بيـان كفر من قـال مطـرنا بـالنوء (١/ ٨٤) حـديث رقم (٧٣) ولفظـه: عن ابن عباس قـال: مُطِر النـاس على عهد النبي ﷺ. فقـال النبي ﷺ: «أَصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هـذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعـة آية (٧٥ ـ ٨٢). والحديث رواه مسلم ولم يروه البخـاري كما عزاه المؤلف (رحمه الله). ولم يعزه المزي في (تحفة الأشراف) ٤/ ٤٦٩ حديث رقم ٥٦٧٢ للبخاري.

نوءُ كذا وكذا، فأنزلَ الله هذه الآية:

(﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: ٧٥-٨٢].

☐ **فيــــه مســــائل:**

- **الأولــى:** تفسير آية الواقعة.
- **الثانيـة:** ذكر الأربع التي من أمرِ الجاهلية.
- **الثـالثـة:** ذكر الكفر في بعضها.
- **الرابعـة:** أنَّ من الكفرِ ما لا يخرج عن الملة.
- **الخامسـة:** قوله: «**أصبحَ من عبادي مؤمِنٌ بي وكافر**» بسبب نزول النعمة.
- **السادسة:** التفطُّن للإيمان في هذا الموضع.
- **السابعـة:** التفطُّن للكفرِ في هذا الموضع.
- **الثامنـة:** التفطُّن لقوله: «**لقد صدقَ نوءُ كذا وكذا**».
- **التاسعـة:** إخراج العـالم للمتعلم المسألة بـالاستفهام عنها لقـوله: «**أتدرونَ ماذا قال ربكم؟**».
- **العـاشرة:** وعيد النائحة.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيـد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضـافتها إليه قولاً واعترافًـا واستعانةً بها على طاعتـه كان قول القـائل: مطرنا بنوءِ كـذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشدَّ المنافاة لإضافة المطر إلى النوء.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله ، فإنَّه الذي تفضَّلَ بها على عباده .

ثم الأَنواء ليست من الأَسباب لنزول المطر بوجهٍ من الوجوه ، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال ، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم .

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنِعَم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد ، وبه يُعرَفُ كامل الإيمان وناقصه .

بـــاب

قـــول الله تـعـالـــى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية

[البقرة : ١٦٥]

وقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

عن أَنسٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «لا يُؤمِنُ أَحدُكم حتى أَكونَ أَحبَّ إِليه من وَلدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعين» أَخرجاه[(١)] .

ولهما عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان : أَن يكون اللهُ ورسولُهُ أَحبَّ إِليه مما سواهما ، وأَن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إِلاَّ لله ، وأَن يكرَه أَن يعودَ في الكفرِ بعد إِذْ أَنقذَهُ الله منه ، كما يكره أَن يُقذَفَ في النار»[(٢)] .

وفي رواية : « لا يَجِدُ أَحـدٌ حلاوةَ الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إِلاَّ لله» إِلىٰ آخره[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ١٤) حديث رقم (١٥) . ومسلم : كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، (١/ ٦٧) حديث رقم : (٤٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (١/ ١٤) حديث رقم (١٦) ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٦) حديث رقم (٤٣) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأدب باب الحب في الله (٥/ ٢٢٤٦) حديث رقم (٥٦٩٤) . وتمامه : «وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» .

وعن ابن عباس، قال: «مَن أَحَبَّ في الله، وأَبغَضَ في الله، ووَالَىٰ في الله، وعادَىٰ في الله، فإِنَّما تُنَالُ ولاية الله بذلك، ولن يجِدَ عبدٌ طعمَ الإيمان ـ وإِنْ كثُرت صلاته وصومه ـ حتى يكون كذلك، وقد صارت عامَّةُ مؤاخاة الناس على أَمرِ الدُّنيا، وذلك لا يُجْدِي على أَهله شيئًا». رواهُ ابنُ جرير[1].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١١٦].

قال: المودَّةُ[2].

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** تفسير آية البقرة.
- **الثانية:** تفسير آية براءة.
- **الثالثة:** وجوب [تقديم] محبته ﷺ على النفسِ والأَهلِ والمال.
- **الرابعة:** أَنَّ نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.
- **الخامسة:** أَنَّ للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.
- **السادسة:** أَعمال القلب الأَربع التي لا تُنال ولاية الله إِلاَّ بها، ولا يجد أَحد طعمَ الإيمان إِلاَّ بها.
- **السابعة:** فهم الصحابي للواقع: أَنَّ عامة المؤاخاة على أَمرِ الدنيا.
- **الثامنة:** تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.
- **التاسعة:** أَنَّ من المشركين من يحبُّ الله حبًّا شديدًا.
- **العاشرة:** الوعيد على من كان الثمانية أَحبَّ إِليه من دينه[3].

---

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس عند ابن جرير، ووقفت عليه عند ابن المبارك (الزهد) ص ١٢١ حديث رقم ٣٥٣ (باب جليس الصدق) وفي إسناده (ليث) وهو ابن أبي سليم قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٣٨: (صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك. اهـ).

(٢) رواه ابن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٢/ ٤٣ من طريق محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم عن عيسى قال أخبرني قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس قوله.

(٣) وهي الآباء والأَبناء والإخوان والأَزواج والعشيرة والأَموال والتجارة والمساكن.

• **الحادية عشرة :** أنَّ من اتَّخذَ ندَّاً تساوي محبته محبة الله فهو الشِرْك الأَكبر.

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

أَصل التوحيد وروحه : إخلاص المحبَّة لله وحده وهي أَصل التألُّه والتعبُّد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمُل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحابّ وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محابّ العبد تبعًا لهذه المحبَّة التي بها سعادة العبدِ وفلاحُه.

ومن تفريعها وتكميلها الحبّ في الله، فيحب العبد ما يحبُّه الله من الأَعمال والأَشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأَشخاص والأَعمال، ويوالي أَولياءه ويعادي أَعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أَمَّا اتِّخاذ أَنداد من الخلق يحبهم كحبِّ الله، ويقدِّم طاعتهم على طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأَكبر الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلَّق بغيره ممن لا يملك له شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلَّق به المشركون سينقطع يوم القيامة أَحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بُغضاًوعداوةً.

واعلم أنَّ أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التي هي أَصل الإيمان والتوحيد.

الثـاني : المحبة في الله وهي محبَّة أَنبياء الله ورسله وأَتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأَعمال والأَزمنة والأَمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبَّة الله ومكملة لها.

الثـالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأَندادهم من شجرٍ وحجَرٍ وبشرٍ ومَلَكٍ، وغيرها وهي أَصل الشرك وأَساسه.

وهنا قسمٌ رابع : وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكـاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهـذه إذا كانت مباحـة ، إنْ أَعانَت على محبة الله وطاعته دخلتْ في بـابِ العبادات ، وإنْ صدَّت عن ذلك وتُوسِّلَ بها إلىٰ مـا لا يحبـه الله دخلَتْ في المنهيـات ، وإلاَّ بقيت من أَقسَـام المبـاحـات . والله أَعلم .

بــاب

قــول الله تــعــالــى

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران : ١٧٥]

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآية . [العنكبوت : ١٠] .

وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنـه مرفـوعاً : **«إِنَّ من ضَعْفِ اليقين أَن تُرضِيَ الناسَ بِسَخطِ الله ، وأَن تحمَـدَهم على رِزْقِ الله ، وأَن تَذُمَّهُم على مـا لم يؤتِكَ الله ، إِنَّ رزق الله لا يجرُّهُ حِرْصُ حَريصٍ ، ولا يَرُدُّهُ كراهيةُ كارِهٍ»**[1] .

وعن عـائشة رضي الله عنهـا أَنَّ رسول الله ﷺ قـال : **«من التمسَ رِضَا الله**

---

(١) رواه أبو نعيم (الحلية) ٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١ من طريق علي بن محمدبن مـروان ـ وهو السدى ـ ثنا أبي ثنا عمـرو وبن قيس الملائي عن عطيـة عن أبي سعيد مـرفوعاً. قـال أبو نعيم: (غـريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن محمد بن مـروان عن أبيه). وقال المناوي (فيض القدير) ٢/ ٥٣٩ حكاية عن البيهقي: (محمد بن مروان السدي أحد رجاله ضعيف). وقال: وفيه ـ أيضاً ـ عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفـاء والمتروكين وقال: ضعفوه. وللحديث طريق أخـرى رواها أبو نعيم (الحليـة) ١٠/ ٤١ من طـريق شيخـه أبي الفتح بن الحمصي أحمد بن الحسين بن محمـد بن سهل فـذكر أن علي بن جعفـر البغدادي حـدثهم قال: قـال أبـو موسى الـدؤلي ثنا أبـو يزيـد البسطـامي ثنا أبـو عبـد الرحمن السفـدي عن عمرو بـن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيـد الخدري مرفـوعاً. وقـال: (وهذا الحديث ممـا ركب على أبي يزيـد، والحمل فيـه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه). وفيه ـ أيضاً ـ عطية العوفي المتقدم.

بِسَخطِ النَّاسِ رَضِيَ الله عنه وأَرضى عنه النـاس ، ومن الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عليه ، وأَسخَط عليه النَّاسَ» . رواه ابنُ حِبَّانَ في صحيحه[1] .

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولـــى :** تفسير آية آل عمران .

• **الثانيـة :** تفسير آية براءة .

• **الثـالثـة :** تفسير آية العنكبوت .

• **الـرابعـة :** أنَّ اليقين يضعف ويقوى .

• **الخامسـة :** علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .

• **السادسة :** أنَّ إخلاص الخوف لله من الفرائض .

• **السابعـة :** ذكر ثواب من فعله .

• **الثـامنـة :** ذكر عقاب من تركه .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

قول الله تعالى: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ) الآية .

هـذا البـاب عقده المصنـف رحمه الله لوجـوب تعلُّق الخوف والخشيـة بـالله وحده ، والنهي عن تعلُّقه بالمخلوقين ، وبيان أنَّه لا يتم التوحيد إلاَّ بذلك .

ولابدَّ في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأَمر ويزول الاشتباه .

اعلم أنَّ الخوف والخشيـة تارة يقع عبـادة ، وتـارة يقع طبيعة وعـادة وذلك بحسب أَسبابه ومتعلقاته .

---

(١) مـوارد الظمآن) ص ٣٧٠ حديث رقم ١٥٤١ و ١٥٤٢ (كتـاب الإمـارة) (باب فيمن يـرضى الله بسخط الناس) من طريقين عن عـائشة . قال المناوي (فيض القـدير) ٦ / ٥١ : (رمز المصنف ـ يعني السيوطي ـ لحسنه) . وأورده الألباني في (صحيح الجامع) ٦٠٩٧ وصححه .

فـإِنْ كَانَ الخوف والخشيـة خوفَ تألُّـهٍ وتعبـدٍ وتقرب بـذلك الخوف إِلىٰ من يخافه وكـان يدعو إِلىٰ طاعـة باطنة وخـوف سري يزجر عن معصية من يخافـه كان تعلُّقه بالله من أَعظم واجبات الإِيمان، وتعلقه بغير الله من الشركِ الأَكبر الذي لا يغفره الله، لأَنَّه أَشْرَكَ في هـذه العبادة التي هي من أَعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

وأَيضاً فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلصٌ موحدٌ، ومن خشي غيره فقـد جعلَ لله نـدًّا في الخشيـة، كمن جعـل لله نـدًّا في المحبـة. وذلك كمن يخشى من صـاحب القبر أَن يوقع بـه مكروهـاً، أَو يغضب عليه فيسلبـه نعمة أَو نحو ذلك، مما هو واقع من عُبَّاد القبور.

وإِنْ كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عـدو أَو سبع أَو حية أَو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهـري، فهذا النوع ليسَ عبادة وقـد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإِيمان.

وهذا إِذا كانَ خوفاً محققاً قد انعقدت أَسباب الخوف فليسَ بمذموم.

وإِنْ كان هذا خوفاً وهمياً كـالخوف الذي ليس له سبب أَصلاً، أَو له سبب ضعيف فهذا مذمـوم يدخل صاحبه في وصفِ الجبنـاء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأَخـلاق الرذيلة، ولهذا كان الإِيمان التـام والتوكُّل والشجاعة تـدفع هذا النـوع، حتى إِنَّ خـواص المؤمنين وأَقـويـاءهم تنقلب المخـاوف في حقِّهم أَمنـاً وطمأنينة لقـوة إِيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال تـوكلهم، ولهذا أَتبعه بهذا الباب.

بـــاب

قـــول الله تـعـالـــى

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة : ٢٣]

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : ٣] .

وعن ابن عباس قال: **(حسبنا الله ونعمَ الوكيل)** قالها إبْراهيم عليه السلام حينَ أُلقيَ في النارِ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له :

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي[1] .

□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولــى :** أَنَّ التوكُّل من الفرائض .
- **الثـانيـة :** أَنَّه من شروط الإيمان .
- **الثـالثـة :** تفسير آية الأنفال .
- **الـرابعـة :** تفسير الآية في آخرها .
- **الخامسـة :** تفسير آية الطلاق .
- **السادسة :** عظم شأن هـذه الكلمة ، وأَنَّها قـول إبراهيم عليـه الصلاة والسـلام ومحمد ﷺ في الشدائد .

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير، باب «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» (٤/ ١٦٦٢) حديث رقم (٤٢٨٧) والنسائي في التفسير من الكبرى، كما في تحفة الأشراف (٥/ ٢٣٨) . والنسائي ـ أيضاً ـ في (عمل اليوم والليلة) ص ٣٩٣ حديث رقم (٦٠٣) .

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

التوكُّل على الله من أَعظَم واجبـات التوحيد والإيمان، وبحسب قـوة توكُّل العبـد على الله يقـوىٰ إيمانـه، ويتم توحيـده، والعبـد مضطـر إلىٰ التـوكُّل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أَو تركه من أُمور دينه أَو دنياه.

وحقيقة التوكُّل على الله : أَن يعلم العبد أَنَّ الأَمـرَ كله لله، وأَنَّه ما شاءَ الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأَنَّه هو النـافعُ الضار المعطي المانع، وأَنَّه لا حولَ ولا قوة إلاَّ بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربِّه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذلٌ جهده في فعلِ الأَسباب النافعة.

فمتى استـدام العبد هـذا العلم وهـذا الاعتماد والثقـة فهو المتـوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفـاية الله لـه ووعده للمتوكلين، ومتـى علق ذلك بغير الله فهو شركٌ، ومن توكَّل على غير الله، وتعلَّق به، وُكِلَ إليه وخابَ أَمله.

بـــاب

قــول الله تـعـالــى

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾

[الأعراف : ٩٩]

وقوله : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

وعن ابن عباس : أَنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر، فقال : «**الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأَمن من مكرِ الله**»[١] .

وعن ابن مسعود قال : أَكبرُ الكبائر: الإشراك بالله ، والأَمن من مكر الله ، والقنوط من رحمةِ الله ، واليأس من روح الله» رواه عبدالرزّاق[٢] .

□ **فيــــه مســـــائل :**

- **الأولــى :** تفسير آية الأَعراف .
- **الثانيــة :** تفسير آية الحجر.
- **الثـالثـة :** شدَّة الوعيد فيمن أَمِنَ مكر الله .
- **الـرابعـة :** شدَّة الوعيد في القنوط .

---

(١) رواه البزار كما في (كشف الأستار) ١/ ٧١ حديث رقم (١٠٦) وابن أبي حاتم كما في (تفسير ابن كثير) ١/ ٤٨٤ عند تفسير قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه . . .) الآية ٣١ البقرة من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً . قال ابن كثير: (وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً فقد روى عن ابن مسعود نحو ذلك) . وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١/ ١٠٤ : (رجاله موثوقون) وحسن إسناده السيوطي في (الدر المنثور) ٢/ ١٤٧ والعراقي في (تخريج إحياء علوم الدين) ٤/ ١٧ .

(٢) (المصنف) ١٠/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ حديث رقم ١٩٧٠١ من طريق معمر عن أبي إسحاق عن وبرة عن عامر بن الطفيل عن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر. . . الحديث قال ابن كثير (التفسير) ١/ ٤٨٤ : (هو صحيح إليه بلا شك) . وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١/ ١٠٤ : (إسناده صحيح . اهـ) .

[التعليــق :]

بـــــاب :

قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾

مقصود الترجمة أَنَّه يجب على العبـد أَن يكون خائفاً من الله ، راجيـاً له راغباً راهباً ، إِنْ نظـرَ إِلىٰ ذنوبه وعـدل الله وشدة عقابـه خشي ربه وخافـه ، وإِنْ نظرَ إِلىٰ فضلِهِ العـام والخاص وعفوه الشـامل رجا وطمع إِن وُفِّقَ لطـاعة رجـا من ربه تمام النعمة بقَبـولها ، وخافَ من ردِّهـا بتقصيره في حقِّها ، وإِن ابتُلي بمعصيـة رجا من ربِّه قبول توبته ومحوها ، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أَن يُعاقب عليها ، وعنـد النعم والمسار يـرجو الله دوامها والـزيادة منهـا والتوفيق لشكـرها ، ويخشىٰ بإخـلاله بـالشكر من سلبهـا ، وعند المكـاره والمصائب يـرجو الله دفعهـا وينتظر الفـرج بحلِّها ، ويرجو أَيضـاً أَن يثيبه الله عليها حين يقوم بـوظيفة الصبر، ويخشىٰ من اجتماع المصيبتين فوات الأَجْرِ المحبـوب ، وحصول الأَمْرِ المكروه إِذا لم يـوفق للقيـام بالصبرِ الـواجب ، فـالمؤمن الموحـد في كل أَحـواله مـلازم للخـوف والرجاء وهـذا هو الواجب وهو النافع ، وبـه تحصل السعادة ، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين :

أَحدهما : أَن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه .

الثاني : أَن يتجارىٰ به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته ، فمتى بلغت بـه الحال إِلىٰ هذا فقـد ضيَّعَ واجب الخوف والـرجـاء اللذين هما من أَكبر أُصـولِ التوحيد وواجبات الإِيمان .

وللقنوط من رحمةِ الله واليأس من روحه سببان محذوران :

أَحـدهما : أَن يُسرِف العبـد على نفسـه ويتجـرأ على المحـارم فيصر عليهـا ويُصمم على الإِقامـة على المعصية ، ويقطع طمعـه من رحمة الله ، لأَجل أَنَّه مقيم على الأَسباب التي تمنع الـرحمة ، فلا يزال كـذلك حتى يصير له هذا وصفـاً وخلقاً

لازماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصلَ إلىٰ هذا الحدِّ لم يرجَ له خيرٌ إلَّا بتوبةٍ نصوحٍ وإقلاعٍ قويٍ.

الثاني: أَن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أَنَّ الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تابَ وأَنابَ، وتضعُف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعفِ علم العبد بربه، ومالـه من الحقوق، ومن ضعفِ النفسِ وعجزِها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلىٰ الكسل، لعلم أَنَّ أَدنىٰ سعيٍ يوصله إلىٰ ربه، وإلىٰ رحمته وجوده وكرمه.

وللأَمن من مكر الله أَيضاً سببان مهلكان :

أحدهما: إعراض العبد عن الدِّين وغفلته عن معرفة ربه ومالـه من الحقوقِ، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصِّراً عن الواجبات، منهمكاً في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقىٰ في قلبه من الإيمان شيءٌ، لأَنَّ الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأُخروي.

السبب الثاني: أَنْ يكون العبد عابداً جاهِلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يُدِلَّ بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أَنَّ له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكرِ الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يُخذَلُ ويُحَالُ بينه وبين التوفيق، إذْ هو الذي جنىٰ على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأُمور للتوحيد.

بـــاب

من الايمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

[التغابن : ١١]

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنَّها من عند الله فيرضىٰ ويسلم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : أَنَّ رسول الله ﷺ قال : **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب ، والنياحة على الميت»**[١] .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : **«ليسَ مِنَّا مَنْ ضربَ الخدود ، وشقَّ الجُيوب ، ودعا بدَعْوىٰ الجاهلية»**[٢] .

وعن أنس أَنَّ رسول الله ﷺ قال : **«إذا أَرادَ الله بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبة في الدُّنيا ، وإذا أَرادَ بعبده الشرَّ أَمسكَ عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»** .

وقال النبي ﷺ : **«إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء ، وإنَّ اللهَ تعالى إذا أَحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سَخِطَ فله السخط»** . حسَّنه الترمذي[٣] .

---

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في السن والنياحة (١/ ٨٢) حديث رقم (٦٧) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب (١/ ٤٣٥) حديث رقم (١٢٣٢) .

ومسلم : كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية . (١/ ٩٩) حديث رقم (١٠٣) .

(٣) (السنن) ٤/ ٦٠١ (كتاب الزهد) (باب ما جاء في الصبر على البلاء) حديث رقم (٢٣٩٦) وقال : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . اهـ) . قال المناوي (فيض القدير) ١/ ٢٥٨ : (قال الذهبي في موضع سعد ليس بحجة ، وفي موضع آخر كأنه غير صحيح . اهـ) وسعد المشار إليه هو (سعد بن سنان) .

□ **فيــــه مســـــائل :**

- **الأولــى :** تفسير آية التغابُن .
- **الثانيــة :** أَنَّ هذا من الإيمان بالله .
- **الثـالثـة :** الطعن في النسب .
- **الـرابعـة :** شـدَّة الـوعيد فيمـن ضربَ الخدود وشقَّ الجيوب ، ودعَـا بـدعـوىٰ الجاهلية .
- **الخامسـة :** علامة إرادة الله بعبده الخير .
- **السادسة :** علامة إرادة الله به الشر .
- **السابعـة :** علامة حبّ الله للعبد .
- **الثـامنـة :** تحريم السخط .
- **التـاسعـة :** ثواب الرضا بالبلاء .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

من الإيمان بالله: الصبر على أَقدار الله

أَمَا الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهـو ظاهر لكل أَحد أَنَّهما من الإيمان بل هما أَساسـه وفرعـه ، فإِنَّ الإيمان كله صبر على مـا يحبه الله ويـرضاه ويقرب إليه ، وصبر عن محارم الله .

فإِنَّ الدِّين يدور على ثلاثة أُصول :

تصديق خبر الله ورسوله ، وامتثال أَمر الله ورسوله ، واجتناب نهيهما .

فـالصبر على أَقدار الله المؤلِمة داخل في هـذا العموم ، ولكن خُصَّ بـالذِكـر لشدَّة الحاجة إِلىٰ معرفته والعمل به .

فإنَّ العبد متى علِمَ أَنَّ المصيبة بإذن الله ، وأَن لله أَتمَّ الحكمة في تقديرها ، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله وسلَّمَ لأَمرِه وصبرَ على المكارِه، تقرباً إِلىٰ الله ، ورجاءً لثوابه ، وخوفاً من عقابه ، واغتناماً لأَفضلِ الأَخلاق ، فاطمأنَّ قلبه وقوي إيمانه وتوحيده .



بـــاب

مـا جـاء في الريــاء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن أَبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: «أَنَا أَغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمِلَ عملاً أَشركَ معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه». رواه مسلم[(١)].

وعن أَبي سعيد مرفوعًا: «أَلاَ أُخبركم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدجَّال؟» قالوا: بلى قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل» رواه أَحمد[(٢)].

□ فيــه مســائل:

- **الأولى:** تفسير آية الكهف.
- **الثانية:** الأَمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.
- **الثالثة:** ذِكْر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.
- **الرابعة:** أَنَّ من الأَسباب أَنَّه خير الشركاء.
- **الخامسة:** خوف النبي ﷺ على أَصحابه من الرياء.
- **السادسة:** أَنَّه فسَّرَ ذلك بأَنَّ المرء يصلي لله، لكن يُزَيِّنها لما يرى من نظر رجلٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق باب من أَشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩) حديث رقم (٢٩٨٥).

(٢) (المسند) ٣/ ٣٠ وابن ماجه (السنن) ٢/ ١٤٠٦ (كتاب الزهد) (باب الرياء والسمعة) من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن أبي سعيد قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال... الحديث. قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٣/ ٢٩٦ (هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما. اهـ).

بـــاب

من الشرك : إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [هود : ١٥ ، ١٦] .

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «تَعِسَ عبدُ الدينارِ، تعِسَ عبدُ الـدرهمِ ، تعِسَ عبدُ الخميصة ، تعِسَ عبـدُ الخميلة ، إن أُعطيَ رضيَ ، وإن لم يُعطَ سَخِط ، تعِسَ وانتكس ، وإذا شِيـكَ فـلا انتُقِش ، طـوبىٰ لعبـدٍ آخـذٍ بعنانِ فرَسه في سبيل الله ، أشعثَ رأسهُ ، مُغبَّرةٌ قـدماه ، إنْ كان في الحِراسة كان في الحِراسة ، وإنْ كانَ في السـاقة كان في الساقـة ، إن استأذنَ لم يُؤذَنَ له ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّع»[1] .

☐ فيـــه مســـائل :

- **الأولــى :** إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .
- **الثانيـة :** تفسير آية هود .
- **الثـالثـة :** تسمية الإنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة .
- **الـرابعـة :** تفسير ذلك بأ نَّه إن أُعطي رضي وإن لم يُعطَ سخِطَ .
- **الخامسـة :** قوله : «تعِسَ وانتكس» .
- **السادسة :** قوله : «وإذا شيك فلا انتقش» .
- **السابعة :** الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الجهاد بـاب الحراسـة في الغزو في سبيل الله ، (٣/ ١٠٥٧ ـ ١٠٥٨) حديث رقم (٢٧٣٠) .

[التعليق :]

بـــــاب :

ما جاء في الرياء

ثم قال :

بـــــاب:

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أنَّ الإخلاص لله أساس الدِّين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأُصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملاً لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسةً، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأَجل مدحهم وتعظيمهم، أَو العمل لأَجلِ الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أَن الرياء فيه تفصيل :

فإِنْ كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شركٌ أَصغَر، ويخشى أَن يتذرع به إلى الشرك الأَكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أَيضًا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرضَ له الرياء في أَثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في

قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفةٌ عظيمةٌ، ويحتاج إلى علاجٍ شديدٍ، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعلَّ الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها:

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليسَ له في الآخرة من نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإنَّ المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، لابدَّ أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنَّه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلصَ في عمله إخلاصاً تامًّا ولكنه يأخذ على عمله جُعْلاً ومعلوماً يستعين به على العمل والدِّين، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تُجعَل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنَّما أراد الدين وقصدَ أن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدِّين.

ولهذا جعلَ الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرفَ تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ويوجب لك أن تُنزِل الأمور منازلها والله أعلم.

بـــاب
من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّمه فقد اتخذهم أرباباً

وقال ابن عباس: يوشِكُ أن تنزلَ عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال أحمد بن حنبل: عجبتُ لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالى يقول:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك.

وعن عدي بن حاتم: أنَّه سمعَ النبي ﷺ يقرأ هذه الآية:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

فقلتُ له: إنَّا لسنا نعبدهم. قال: **«أليسَ يُحرِّمونَ ما أحلَّ الله فتُحرمونه، ويحلُّون ما حرَّمَ الله فتُحِلونه»**. فقلت: بلى. قال: **«فتِلكَ عبادتهم»**. رواه أحمد والترمذي وحسَّنه[1].

---

(١) لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد، ورواه الترمذي في (السنن) ٥/ ٢٧٨ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة التوبة) حديث رقم (٣٠٩٥) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. اهـ)، وقد حسنه شيخ الإسلام في الإيمان ص (٦٤).

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولـى :** تفسير آية النور.

• **الثانيـة :** تفسير آية براءة .

• **الثالثـة :** التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي .

• **الرابعـة :** تمثيل ابن عباس بأبي بكرٍ وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان .

• **الخامسـة :** تغير الأحوال إلىٰ هـذه الغايـة حتى صار عند الأكثر عبادة الـرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الـولايـة ، وعبـادة الأحبـار هي العلم والفقـه ، ثـم تغيَّرت الأحـوال إلىٰ أن عُبِـدَ مـن دون الله من ليسَ من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

باب

قول الله تعالى

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا) .

[النساء : ٦٠-٦٢]

وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) .

[البقرة : ١١]

وقوله : (وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [الأعراف : ٥٦] .

(أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة : ٥٠] .

وعن عبدالله بن عمرو، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : **«لا يُؤمِنُ أَحـدُكُم حتى يكـون هـواهُ تبعـاً لما جئتُ بـه»**(١) . . قال النووي : حديثٌ صحيحٌ ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(١) ذكره النووي في (الأربعين) ص ١٠٧ وقال : حديث حسن صحيح . اهـ والمراد بكتاب الحجة (كتاب الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة) لابن الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي . والحديث رواه ابن أبي عاصم (السنة) ١/ ١٢ حديث رقم (١٥) والبغوي (شرح السنة) ١/ ٢١٢ حديث رقم (١٠٤) من طريق نعيم بن حماد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً .
قال ابن رجب (جامع العلوم والحكم) ص ٣٦٤ متعقباً النووي تصحيح الحديث : (تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه :
=

وقال الشَّعْبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ مُحمدٍ ـ عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود ــ لعلمه أنهم يأخذون الرِّشْوَةَ ـ فاتَّفقَا أَن يأتيا كاهناً في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ) [النساء: ٦٠] الآية[1].

وقيل: نَزلتْ في رجلين اختصما، فقال أَحدهما: نترافعُ إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخرُ: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر، فذكرَ له أَحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربهُ بالسيفِ فقتله[2].

= □ ١ - منها: أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هذا و إن خلفه كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة، وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يتهم، ويشبه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف. . . وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي؟ وأصحاب ابن سيرين؟ عن هذا الحديث حتى ينفرد به نعيم.

□ ٢ - ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده. ثم حكى الاختلاف.

□ ٣ - ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري ويقال فيه يعقوب بن أوس ثم حكى خلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه.

□ ٤ - وذكر عن الغلابي في (تاريخه): يزعمون أنه ـ يعني عقبة بن أوس ـ لم يسمع من عبد الله ابن عمرو، وإنما يقول: قال عبد الله بن عمرو، فعلى هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو منقطعة. والله أعلم.

(١) (جامع البيان) لابن جرير ٥/ ٩٧ من طرق عن داود عن عامر الشعبي مرسلاً.

(٢) ذكره معلقاً الواحدي (أسباب النزول) ص ١٠٧ ــ ١٠٨ في التحاكم إلى كعب بن الأشرف فقال: وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين. . . فذكره مطولاً، وكذا ذكره معلقاً البغوي (معالم التنزيل ـ بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ١/ ٥٥٢ وجعله عن أبي صالح وابن عباس وهو تحريف. وهذا الإسناد مع تعليقه فيه (الكلبي) وهو محمد بن السائب بن بشر قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٦٣: (متهم بالكذب ورمي بالرفض).

=

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولـى :** تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

• **الثانيـة :** تفسير آية البقرة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

• **الثالثـة :** تفسير آية الأعراف : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

• **الرابعـة :** تفسير : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾

• **الخامسـة :** ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .

• **السادسة :** تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

• **السابعة :** قصة عمر مع المنافق .

• **الثامنـة :** كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكون هواه تبعاً لما جاءَ بـه الرسول ﷺ .

[التعليـــق :]

بـــاب :

من أطـاع العلماء والأمراء في تحريم مـا أحلَّ الله أو تحليل مـا حـرَّمه فقـد اتخذهم أرباباً

بـــاب :

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

ووجـه ما ذكـره المصنف ظـاهر، فـإنَّ الربَّ والإلـه هـو الذي لـه الحكم القـدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الـذي يؤلَّـه ويُعبَد وحـده لا

= وللحـديث طريق أخـرى عن ابن عبـاس رواها الـواحدي (أسبـاب النزول) ص ١٠٦ ــ ١٠٧ والطبراني (المعجم الكبير) ١١/ ٣٧٣ حـديث رقم ١٢٠٤٥ من طريق أبي اليمان حـدثنا صفـوان ابن عمرو عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال: كان أبـو برزة الأسلمي كاهنـاً يقضي بين اليهود فيما يتنافـرون إليه، فتنافر إليـه أناس من أسلم فأنزل الله تعالى ﴿ألم تـر إلى الذين يزعمون﴾ إلى قـوله (رفيقاً). قال الهيثمي في (مجمـع الزوائد) ٧/ ٦ : (رجاله رجال الصحيح . اهــ). وذكره الشيخ مقبل في (الصحيح المسند من أسباب النزول) ص ٤٥ .

شريكَ له ، ويُطـاع طاعةً مطلقةً فـلا يُعصى ، بحيث تكون الطاعات كلهـا تبعاً لطـاعته ، فـإذا اتخذَ العبد العلماء والأُمـراء على هذا الـوجه ، وجعلَ طـاعتهم هي الأَصل ، وطـاعـة الله ورسـولـه تبعـاً لها فقـد اتَّخذهم أَربـابـاً من دونِ الله يتأَلههم ويحاكم إِليهم ، ويقدِّم حكمهـم على حكم الله ورسوله ، فهـذا هو الكفـر بعينه ، فإِنَّ الحكم كله لله ، كما أَنَّ العبادة كلها لله .

والـواجب على كل أَحـد أَنْ لا يتخِذ غير الله حكماً ، وأَن يـردّ مـا تنازع فيـه الناس إِلىٰ الله ورسـوله ، وبذلك يكـون دين العبد كله لله وتوحيـده خالصاً لـوجه الله .

وكل من حاكـم إِلىٰ غير حكم الله ورسوله فقـد حاكم إِلىٰ الطـاغوت ، وإِنْ زَعَمَ أَنَّه مؤمِنٌ فهو كاذِب .

فالإِيمان لا يصح ولا يتم إِلاَّ بتحكيم الله ورسـوله في أُصول الدِّين وفـروعه ، وفي كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر .

فمن حـاكـم إِلىٰ غيرِ الله ورسـولـه فقـد اتَّخذَ ذلك ربًّـا ، وقـد حَـاكَمَ إِلىٰ الطاغوت .



بــــاب

مَن جَحَدَ شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري: قال عليٌّ: حدِّثوا النـاسَ بما يعرفون، أتـريدونَ أن يُكذَّبَ الله ورَسُولُهُ؟[١].

وروى عبدالـرَّزاق عن مَعْمر عن ابن طَاوس عن أَبيه عن ابن عباس: أنَّه رأىٰ رجلاً انتفض لمَّا سَمِعَ حديثاً عن النبي ﷺ في الصِّفَات استنكاراً لـذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاءِ؟ يجدون رِقَّةً عِنـدَ مُحْكَمِه، ويَهلكـون عنـد مُتشـابهه؟ انتهى[٢].

ولمَّا سمعتْ قُريشٌ رسـول الله ﷺ يذكُـرُ الرحمـٰن، أنكرُوا ذلك، فـأنزلَ الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم بـاب من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كـراهية ألا يفهموا (١/ ٥٩) حديث رقم (١٢٧).

(٢) (المصنف) ١١/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٠٨٩٥ والحديث المشار إليـه في (الصفات) رواه عبد الرزاق ـ أيضاً في (المصنف) ١١/ ٤٢٢ حديـث رقم ٢٠٨٩٣ من حديث أبي هـريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: (تحاجت الجنة والنار فقـالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقال الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفـاء الناس وسقطهم وعـرتهم؟ فقال الله للجنـة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبـادي، وقال للنار: إنما أنت عـذابي أعذب بك من أشاء من عبـادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النـار فإنهم يلقون فيها (وتقول هل من مزيد) فـلا تمتلئ حتى يضع رجله ـ أو قال: قدمه ـ فيهـا فتقول: قط قط قط، فهنالك تملأ وتنزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها ما شاء. اهـ).

□ فيـــه مســـــائل :

• **الأولـــى :** عدم الإيمان بجحد شيءٍ من الأَسماء والصفات .

• **الثـانيـة :** تفسير آية الرعد .

• **الثـالثـة :** ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

• **الـرابعـة :** ذكر العلة أنه يفضي إلىٰ تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

• **الخامسة :** كلام ابن عباس لمن استنكرَ شيئاً من ذلك ، وأَنَّه أَهلكه .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

من جحد شيئاً من الأَسماء والصفات

أَصل الإيمان وقـاعـدتـه التـي ينبني عليهـا هـو الإيمان بـالله ، وبـأَسمائه ، وصفاته .

وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به ، وتعبَّدَ لله بذلك قوي توحيده ، فإذا علِمَ أَنَّ الله متـوحِّد بصفـات الكمال متفرد بـالعظمة والجلال والجمال ليس لـه في كماله مثيل ، أَوجبَ له ذلك أَن يعرف ويتحقق أَنـه هو الإلـٰه الحقّ ، وأَنَّ إلـٰهية ما سواه باطلـة ، فمن جَحدَ شيئاً من أَسماءِ الله وصفاته فقد أَتىٰ بما ينـاقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر.



بـــاب

قـــول الله تـعـالــى

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] .

قال مجَاهِدٌ ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورِثتهُ عن آبائي .

وقال عَوْنُ بن عبدالله : لولا فلانٌ لم يكنْ كذا .

وقال ابن قُتَيْبَةَ : يقولون : هذا بِشفَاعةِ آلِهتِنَا .

وقال أَبو العباس بعدَ حديث زيد بن خالد الذي فيه : أَنَّ الله تعالى قال : «أَصبحَ من عبادي مُؤمِنٌ بي وكافرٌ»[1] ، الحديث ــ وقد تقدَّم ـ وهذا كثيرٌ في الكتاب والسُّنة ، يَذُمُّ سبحانه من يُضِيفُ إنعامَه إِلىٰ غيره ويُشْرِكُ به .

قال بعضُ السَّلف : هو كقولهم : كانت الرِّيحُ طيِّبةً ، والملاَّحُ حاذِقاً ، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على أَلسنة كثير [من الناس] .

□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولــى :** تفسير معرفة النعمة وإنكارها .
- **الثانيــة :** معرفة أَنَّ هذا جار على أَلسِنة كثير [من الناس] .
- **الثالثــة :** تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .
- **الرابعــة :** اجتماع الضدين في القلب .

[التعليـــق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣].

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص (١٠٩) حاشية رقم (٢) (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء) .

الـواجب على الخلق إضافـة النعم إلىٰ الله قولاً واعترافـاً كما تقدَّمَ، وبـذلك يتم التوحيـد، فمن أَنكرَ نعم الله بقلبه ولسـانه فذلـك كافرٌ ليس معـه من الدِّين شيء.

ومن أقرَّ بقلبـه أَنَّ النعم كلها من الله وحده، وهـو بلسانه تـارة يضيفها إلىٰ الله، وتـارة يضيفها إلىٰ نفسـه وعمله وإلىٰ سعي غيره كما هـو جارٍ على أَلسنـة كثيرٍ من النـاس، فهـذا يجب على العبــد أَن يتـوب منـه، وأَن لا يضيف النعم إلاَّ إلىٰ موليهـا، وأَن يجاهد نفسه على ذلك ولا يتحقق الإيمان التـوحيد إلاَّ بإضـافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً.

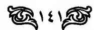
فإنَّ الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أَركان:

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

والتحدُّث بها والثناء على الله بها.

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أَعلم.





باب
قول الله تعالى

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٢]

قال ابن عباس في الآية : الأَنداد هو الشِّركُ ، أَخفىٰ من دبيب النَّمْلِ على صفاةٍ سوداء في ظلمةِ الليل ، وهو أَن تقول : والله وحياتِكَ يا فُلان وحياتي ، وتقول : لولا كُلَيْبَةُ هذا لأَتانا اللصوصُ ، ولولا البطّ في الدار لأَتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاءَ الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلانٌ ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كلُّهُ به شِرْكٌ . رواهُ ابن أَبي حاتم[1] .

وعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فقد كَفَر ، أَو أَشْرَكَ» . رواه الترمذي وحسَّنهُ ، وصححه الحاكم[2] .

---

(١) قال ابن كثير (التفسير) ١/ ٥٧ ـ ٥٨ : قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ الحديث بنحوه . وفي إسناده (شبيب ابن بشر) وهو النجلي قال ابن حجر (تهذيب التهذيب) ٤/ ٣٠٦ : (قال الدوري عن ابن معين ثقة . . . وقال أبو حاتم : لين الحديث حديثه حديث الشيوخ وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيراً . اهـ) .

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي والحاكم عن (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه وإنما وقفت عليه عندهما عن ابن عمر، رواه الترمذي (السنن) ٤/ ١١٠ (كتاب النذور والإيمان) (باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله) حديث رقم ١٥٣٥ وقال : هذا حديث حسن . اهـ . والحاكم في (المستدرك) ١/ ١٨ (كتاب الأيمان) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد وخرجاه في الكتاب، وليس له علة ولم يخرجاه) . ورواه في موضع آخر (المستدرك) ٤/ ٢٩٧ (كتاب الأيمان والنذور) وقال : : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . اهـ) .

وقـال ابن مسعود: لأَنْ أَحْلِفَ بـالله كاذبـاً، أَحبُّ إِليَّ مِن أَنْ أَحْلِفَ بغيره صادقاً[١].

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنـه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقولوا مـا شاءَ الله وشـاءَ فـلانٌ، ولكن قـولـوا مـا شـاء الله ثم شـاءَ فُـلان**». رواه أَبـو داود بسنـدٍ صحيح[٢].

وجاء عن إِبـراهيم النَّخعِي: أَنَّهُ يكرهُ: أَعوذُ بـالله وبكَ، ويجوز أَن يقول: بالله ثم بِكَ، قال: ويقول: لولا الله ثم فلانٌ، ولا تقولوا: لولا الله وفلانٌ.

☐ **فيــه مســائل:**

- **الأولــى:** تفسير آية البقرة في الأَنداد.
- **الثانيـة:** أَنَّ الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأَكبر بأَنَّها تعم الأَصغر.
- **الثـالثـة:** أَنَّ الحلِف بغيرِ الله شرك.
- **الـرابعـة:** أَنَّه إِذا حلفَ بغيرِ الله صادقاً فهو أَكبر من اليمين الغموس.
- **الخامسـة:** الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

---

(١) رواه عبد الـرزاق (المصنف) ٨/ ٤٦٩ (كتاب الإيمان والنذور) (بـاب الأيمان ولا يحلف إلا بالله). حديث رقم ١٥٩٢٩ من طريق الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله ـ لا أدري ابن مسعـود. أو ابن عمـر ــ: لأن أحلف بـالله كـاذبـاً. . . مثله. قـال الهيثمي (مجمع الـزوائد) ٤/ ١٧٧: (رواه الطبراني في الكبير ورجالـه رجال الصحيح. اهـ) وأبو سلمة المذكـور في إسناد عبد الـرزاق لم أهتد إليـه. ورواية الطبراني المشـار إليها في (المعجم الكبير) ٩/ ٢٠٥ حـديث رقم (٨٩٠٢) من طـريق مسعــر بن كـدام عن وبـرة بن عبـد الـرحمن قـال: قـال عبـد الله: لأن أحلف. . . الحديث.

(٢) (السنن) ٥/ ٢٥٩ (كتـاب الأدب) (بـاب لا يقـال خبثـت نفسي) حـديث رقم ٤٩٨٠ وسكت عليه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٧٤.

[التعليق :]

بـــاب :

قولُ الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

الترجمة السابقة على قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية ، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندًّا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

وهـذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كـالشرك في الألفـاظ كـالحلف بغير الله ، وكـالتشريك بين الله وبين خلقـه في الألفاظ كـ لـولا الله وفـلان وهذا بـالله وبك ، وكإضافة الأشياء ووقوعهـا لغيرِ الله كلولا الحارس لأتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلاني لهلكت ، ولولا حـذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل فكل هذا ينافي التوحيد .

والـواجب أن تُضَاف الأُمـور ووقـوعها ونفع الأسبـاب إلىٰ إرادة الله وإلىٰ الله ابتداء ، ويُـذكر مع ذلك مرتبـة السبب ونفعه ، فيقول : لـولا الله ثم كذا ليعلم أنَّ الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتّم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله .

بـــاب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تحلِفوا بآبَائِكُمْ، من حُلِفَ بالله فليُصَـدِّق، ومن حُلِفَ لـه بـالله فلْيَرْضَ، ومن لم يَـرْضَ فليسَ من الله». رواه ابن ماجه بسندٍ حسنٍ[1].

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى:** النهي عن الحلِف بالآباء.
- **الثانيـة:** الأَمر للمحلوف له بالله أَن يرضىٰ.
- **الثـالثـة:** وعيد من لم يرضَ.

[**التعليـــق:**]

بـــــاب:

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

ويُـراد بهذا إذا تـوجهت اليمين على خصمك وهـو معـروف بـالصِّـدق أَو ظاهره الخير والعدالة، فإِنَّه يتعيَّن عليك الـرِضَا والقناعة بيمينه، لأَنَّه ليسَ عندكَ يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمـون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أَن ترضىٰ بالحلِف بالله.

---

(١) (السنن) ١/ ٦٧٩ (كتاب الكفارات) (باب من حلف لـه بالله فليرض) حديث رقم ٢١٠١ قال البوصيري (مصبـاح الزجـاجة) ٢/ ١٤٣: (هذا إسنـاد صحيح رجالـه ثقات). وقـال الألباني (الإرواء) ٨/ ٣١٤: (هـذا إسنـاد صحيح رجـالـه ثقات كما قـال البـوصيري في الـزوائد). وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيه (محمد بن عجـلان) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٩٠: (صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة).

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرضَ إلاَّ بالحلِف بالطلاق ، أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات ، فهو داخلٌ في الوعيد لأَنَّ ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ورسوله .

وأما من عرفَ منه الفجور والكذب ، وحلف على ما تيقن كذبه فيه ، فإنَّه لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه ، وأنَّه ليسَ في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلىٰ يمينه ، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد لأَنَّ حالته متيقنة والله أَعلم .



بــــاب
قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلَـة : أَنَّ يهوديًّا أَتىٰ النبي ﷺ فقـالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ، تقـولون : مـا شـاء الله وشئتَ ، وتقولـون : والكعبـةِ ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أَرادوا أَن يحلفـوا أَن يقـولـوا : وربِّ الكعبـةِ ، وأَن يقـولـوا : مـا شـاء الله ثـم شئتَ ، رواه النسـائيُّ وصححه[١] .

ولـه أَيضاً عن ابن عبـاس : أَنَّ رجـلاً قـال للنبي ﷺ ما شـاء الله وشئْتَ ، فقال : «أَجْعلْتَني لله نِدًّا؟ بل ما شاء الله وحدَهُ»[٢] .

ولابن ماجه ، عن الطُّفيل أَخي عـائشة لأُمِّها ، قال : رأيتُ كأنِّي أَتَيْتُ على نفرٍ من اليهود ، قلتُ : إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لولا أَنَّكُمْ تقـولون عُزيْرٌ ابنُ الله ، قالوا : وأنتم لأَنْتُمُ القومُ لـولا أَنَّكم تقولون : مـا شاء الله وشاء محمد ، ثم مـرَرْتُ بنفرٍ من النصارى ، فقلت : إِنَّكم لأَنتُم القـومُ لولا أَنكم تقولون : المسيح ابن الله ، قـالوا : وأنتم لأَنتُمُ القـوم ، لولا أَنَّكم تقـولـون : ما شـاء الله وشاء محمـد ، فلَمَّا أَصبحتُ أَخبرتُ بها من أَخبرتُ ، ثم أَتيـتُ النبيّ ﷺ فـأَخبرتُـه ، قـال : «هل أَخبرتَ بها أَحداً؟» قلت : نعم ، قـال : فحمِدَ الله وأَثنىٰ عليه ، ثم قـال : «أَمَّـا بعدُ ، فـإِنَّ طُفَيْـلاً رأى رُؤيَـا أَخْبَر بها من أَخبرَ منكم ، وإِنَّكم قلتم كلمـةً كـان يَمْنَعُني كـذا

---

(١) (السنن) ٧/ ٦ (كتـاب الأيمان والنذور) (باب الحلف بـالكعبة) ولم أقف على تصحيـح النسائي له ، وقال ابن حجر (الإصابة في تمييز الصحابة) ١٣/ ٩٤ : (سنده صحيح . اهـ) .

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦ (النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) حديث رقم ٩٨٨ وابن مـاجه (السنن) ١/ ٦٨٤ (كتـاب الكفارات) (بـاب النهي أن يقـال ما شـاء الله وشئت) . حديث رقم ٢١١٧ قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/ ١٥٠ (هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله مختلف فيه ضعفه أحمد وأبـو حاتم وأبو داود وابن سعد ، ووثقـه ابن معين والعجلي ويعقوب ابن سفيان ، وباقي رجال الإسناد ثقات) .

وكذا أَن أَنهاكُم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[1].

□ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

• **الثانية:** فهم الإنسان إذا كان له هوى.

• **الثالثة:** قوله ﷺ: «**أَجعلتني لله ندًّا**». فكيفَ بمن قال: يا أَكرمَ الخلق مالي من أَلوذُ به سواك. والبيتين بعده؟.

• **الرابعة:** أَنَّ هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «**يمنعني كذا وكذا**».

• **الخامسة:** أَن الرؤيا الصالحة من أَقسام الوحي.

• **السادسة:** أَنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأَحكام.

[التعليق:]

بـــاب:

قول: ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة (﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾).

---

(١) (السنن) ١/ ٦٨٥ (كتاب الكفارات) (باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت). حديث رقم ٢١١٨ ولم يسق لفظه، قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/ ١٥٢: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم).

بــاب

من سب الدهر فقد آذىٰ الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

وفي الصحيح عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**قال الله تعالى : يُؤْذِيني ابنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ**»[١] . وفي رواية : «**لا تَسُبُّوا الدَّهرَ ، فإنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ**»[٢] .

☐ **فيــه مســائل :**

- **الأولــى :** النهي عن سب الدهر.
- **الثانيــة :** تسميته أَذىٰ لله .
- **الثالثــة :** التأَمُّل في قوله : «**فإنَّ الله هو الدَّهر**» .
- **الرابعــة :** أَنه قد يكون سابًّا ولو لم يقصده بقلبه .

[التعليــق :]

بــاب :

من سبَّ الدهر فقد سبَّ الله

وهـذا واقع كثير في الجاهليـة ، وتبعهم على هذا كثير من الفسـاق والمجـان والحمقى ، إذا جرت تصـاريف الدهـر على خلاف مرادهم جعلـوا يسبون الـدهر

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير تفسير سـورة الجاثية باب ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ (٤/ ١٨٢٥-١٨٢٦) رقم (٤٥٤٩) ومسلم : كتـاب الأَلفـاظ من الأَدب بـاب النهي عن سب الـدهـر (٤/ ١٧٦٢) رقم (٢٢٤٦) .

(٢) رواه مسلم : كتـاب الأَلفاظ من الأَدب بـاب النهي عن سب الـدهر (٤/ ١٧٦٣) حـديث رقم (٢٢٤٦) عن أَبي هريرة رضي الله عنه .

والـوقـت، وربما لعنـوه. وهـذا نـاشيء من ضعف الـديـن ومن الحمق والجهل العظيم، فإنَّ الدهـر ليس عنده من الأمر شيء، فإنَّـه مدبَّـرٌ مصرَّفٌ والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره.

وكما أنَّه نقـص في الدِّين فهو نقـصٌ في العقل، فيه تزداد المصـائب ويعظم وقعها ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مُنافٍ للتوحيد.

أما المؤمن فإنـه يعلم أنَّ التصاريف واقعة بقضاء الله وقـدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته.



بـــاب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أَبي هـريرة عن النبي ﷺ قـال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عندَ الله، رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأَملاكِ، لا مَالِكَ إِلَّا الله»[١].

قال سُفيان: مثلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ على الله يومَ القيامةِ وأَخْبَـثُهُ»[٢].

قوله: «أَخْنَعَ» يعني: أَوْضَع.

□ فيـــه مســـائل:

• **الأولـــى:** النهي عن التسمي بملك الأَملاك.

• **الثـانيـة:** أَنَّ ما في معناه مثله كما قال سفيان.

• **الثـالثـة:** التفطن للتغليظ في هـذا ونحـوه، مـع القطع بـأَن القلب لم يقصـد معناه.

• **الـرابعـة:** التفطن أَنَّ هذا لإجلال الله سبحانه.

---

(١) رواه البخاري: كتـاب الأَدب باب أَبغض الأَسماء إِلى الله (٥/ ٢٢٩٢) حـديث رقم (٥٨٥٣). ومسلم: كتـاب الآداب بـاب تحريم التسمـي بملك الأَمـلاك، وبملك الملـوك، (٣/ ١٦٨٨) حديث رقم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم: كتـاب الآداب بـاب تحريم التسمـي بملك الأَمـلاك وبملك الملـوك (٣/ ١٦٨٨) حديث رقم (٢١٤٣). وتمام الحديث: «وأغيظـه عليه رجل كـان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله».

بـــاب
احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُرَيْح: أَنَّه كان يكنى أَبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ الله هو الحَكمُ، وإليه الحُكْمُ»، فقال: إِنَّ قومي إِذا اختلفوا في شيء أَتوني فَحَكَمتُ بينهم، فرضيَ كلا الفريقين، فقال: «ما أَحسنَ هذا! فما لَكَ من الوَلَدِ؟» قلتُ: شريحٌ، ومسلمٌ، وعبدالله، قال: «فمن أَكبَرُهُم؟». قلت: شريحٌ، قال: «فأَنتَ أَبو شريح». رواه أَبو داود وغيره[1].

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى:** احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يُقصَد معناه.
- **الثانيـة:** تغيير الاسم لأَجل ذلك.
- **الثالثـة:** اختيار أَكبر الأَبناء للكُنية.

[التعليـــق:]

بـــاب:

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

وباب احترام أَسماء الله، وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أَنَّه يجب أَن لا يُجعَل لله ندٌّ في النيات والأَقوال والأَفعال، فلا يسمى أَحدٌ باسم فيه نوع مشاركة لله في أَسمائه وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أَو بأَبي الحكم

---

(١) (السنن) ٥/ ٢٤٠ (كتاب الأدب) (باب في تفسير الاسم القبيح) حديث ٤٩٥٥ ورواه ـ أيضاً ـ النسائي (السنن) ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ (كتاب آداب القضاء) (باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم). وسكت عليه أبو داود ثم المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٥٤ وفي إسناده (يزيد ابن المقدام بن شرع) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٣٧١: (صدوق أخطأ عبد الحق في تضعيفه). فالإسناد لأجله حسن لذاته.

ونحوه، وكل هذا حفظٌ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفعٌ لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يُخشى أن يُتدرَّجَ منها إلىٰ أن يُظنَّ مشاركةُ أحدٍ لله في شيء من خصائصه وحقوقه.

بـــاب
من هزلَ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخلَ حديثُ بعضهم في بعض ـ أنَّه قال رجلٌ في غزْوَةِ تبُوك : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء ، أرْغَبُ بطوناً ، ولا أكْذَبُ ألْسُناً ، ولا أجْبَنُ عند اللِّقَاءِ ، يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابه القُرَّاء ، فقال له عَوْفُ بن مالكٍ : كَذَبتَ ، ولكنك مُنَافِقٌ ، لأُخبرَنَّ رسول الله ﷺ فذهبَ عوفٌ إلىٰ رسول الله ، ﷺ ، ليُخْبِرَهُ ، فوجدَ القرآن قد سبقهُ ، فجاء ذلك الرَّجلُ إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحلَ وركِبَ ناقتَهُ . فقال : يا رسول الله ، إنَّما كُنَّا نخوضُ ونتحدَّثُ حديثَ الركْبِ نقطعُ به عناء الطريق ، قال ابن عمر : كأنِّي أنْظُرُ إليه متعلِّقاً بِنِسْعَةِ نَاقةِ رسول الله ﷺ وإنَّ الحِجَارة تنكبُ رِجْلَيْه ، وهو يقول : إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ ، فيقول له رسول الله ﷺ :

﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٥-٦٦] . ما يَلْتَفِتُ إليه وما يزيدُهُ عليه»(١) .

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولــى :** ـ وهي العظيمة ـ أنَّ من هزلَ بهذا ، أنَّه كافر .

• **الثانيــة :** أنَّ هذا تفسير الآية فيمن فعلَ ذلك كائناً من كان .

---

(١) حديث ابن عمر رواه ابن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمود شاكر) ١٤ / ٣٣٣ حديث رقم ١٦٩١٢ ، وحديث محمد بن كعب رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١٦ ، وحديث زيد بن أسلم رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١١ وحديث قتادة رواه ابن جرير حديث ١٦٩١٤ وحديث ١٦٩١٥ .

• **الثالثة**: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

• **الرابعة**: الفرق بين العفو الذي يحبه الله، الغلظة على أعداء الله.

• **الخامسة**: أَنَّ من الاعذار مالا ينبغي أَن يُقبَل.

[التعليق:]

بــــــاب:

من هزلَ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أَي فإن هذا منـافٍ للإيمان بـالكلية، ومخرج من الديـن. لأَن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله.

ومن الإيمان تعظيم ذلك، ومن المعلـوم أَنَّ الاستهزاء والهزل بشيء من هـذه أَشدّ من الكفر المجرد، لأَنَّ هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء.

فإِنَّ الكفار نوعان: معرضون ومعارضون.

فالمعـارض المحارب لله ورسـوله، القادح بـالله وبدينـه ورسولـه أَغلظ كفراً وأَعظم فساداً.

والهازل بشيء منها من هذا النوع.



بـــاب

ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت : ٥٠].

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به.

وقال ابن عباس: يُريدُ من عندي.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوهِ المكاسب وقال آخرون: على علم من الله أنّي له أهلٌ وهذا معنى قول مجاهد: أُوتيتُهُ على شرفٍ.

وعن أبي هريرة، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيلَ: أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى، فأرادَ الله أن يبتليَهُمْ، فبعثَ إليهم مَلَكاً، فأتى الأبرَصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويَذهبُ عنّي الذي قد قذرني الناسُ به، قال: فمسحهُ، فذهبَ عنه قَذَرُهُ، فأُعطيَ لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ أو البقرُ - شكَّ إسحاق - فأُعطيَ ناقةً عُشَراء، فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقْرَعَ، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ؟ قال: شَعْرٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قَذَرني الناسُ به، فمسحهُ فذهبَ عنه، وأُعطيَ شَعْراً حسناً، فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، أو الإبلُ، فأُعْطيَ بَقَرَةً حَامِلاً، قال: بارِكَ الله لك فيها. قال: وأتى الأعمى فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يَرُدَّ الله إليَّ بَصري، فأُبصرَ به الناس، فمسحهُ فردَّ الله إليه بصره، قال: فأيُّ

المال أَحبُّ إليك؟ قال: الغنَمُ، فأُعطيَ شاةً والداً، فأَنتجَ هٰذَانِ وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنَّهُ أَتى الأَبرص في صورته وهيئتهِ، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلاَّ بالله ثم بكَ، أَسْأَلُكَ بالذي أَعطَاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ــ بعيراً أَتبلَّغُ به في سفري، فقال: الحُقُوقُ كثيرةٌ، فقال له: كأَنِّي أَعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبَرصَ يقذركَ الناسُ فقيراً، فأَعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إِنَّمَا وَرِثْتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إنْ كنتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ الله إلىٰ ما كُنْتَ.

قال: وأَتىٰ الأَقْرَعَ في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إنْ كنتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ الله إلىٰ ما كنت.

قال: ثم أنه أتىٰ الأَعمى في صورته، فقال: رَجُلٌ مسكينٌ وابْنُ سَبيل، قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليومَ إلاَّ بالله ثُمَّ بك، أَسْأَلُكَ بالَّذي ردَّ عليك بَصَرَكَ شاةً أَتبلَّغُ بها في سفري، فقال: قَد كنتُ أَعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فَخذْ ما شِئْتَ، ودَعْ ما شِئتَ، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليوم بشيءٍ أَخذْتَهُ لله، فقال: أَمْسِكْ مالَكَ، فإِنَّما ابْتليتُمْ، فقد رضي الله عنك وسخِطَ على صَاحِبَيْكَ». أَخرجاه[1].

☐ فيه مسائل:

• **الأولى:** تفسير الآية.

• **الثانية:** ما معنى: (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى).

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأَنبياء باب حديث أَبرص وأَعمى وأَقرع بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٦) حديث رقم (٣٢٧٧). ومسلم: كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥ ـ ٢٢٧٧) حديث رقم (٢٩٦٤).

• **الثالثة** : ما معنى قوله : ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ .

• **الرابعة** : ما في هذه القصة العجيبة من العِبَرِ العظيمة .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ .

مقصود هذه الترجمة أَنَّ كل من زَعَمَ أَنَّ ما أُوتِيَهُ من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته ، أَو أَنَّه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحقّ فإنَّ هذا منافٍ للتوحيد لأَنَّ المؤمن حقًّا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثني على الله بها ، ويضيفها إِلىٰ فضله وإِحسانه ، ويستعين بها على طاعته ولا يرىٰ له حقًّا على الله ، وإِنَّما الحقّ كله لله ، وأَنَّه عبد محض من جميع الوجوه ، فبهذا يتحقق الإِيمان والتوحيد ، وبضده يتحقق كفران النعم ، والعجب بالنفس والإِدلال الذي هو من أَعظم العيوب .

بـــاب

قـــول الله تعالـــى

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

[الأعراف : ١٩٠]

قال ابـن حَزْمٍ : اتَّفَقوا على تحريم كـلِّ اسم مُعبَّد لغيرِ الله ، كعبـد عمرو، وعبدِ الكعبةِ ، وما أَشبه ذلك ، حاشا عبدَ المطَّلب[١] .

وعن ابن عبـاس في الآية : قـال : لمَّا تغشَّـاهـا آدَمُ حملت ، فأَتـاهما إبليس فقال : إني صاحِبُكُمَا الـذي أَخرجتكما من الجنةِ لَـتُطيعاني أَو لأَجْعلنَّ لـه قرنَيْ إبل فيخرُجُ من بطنِكِ فيشقُّه ، ولأَفعلنَّ ولأَفعلنَّ ، يُخوِّفُهما ، سمِّياهُ عبدَ الحارث ، فأَبيا أَن يُطيعاهُ ، فخـرجَ ميتًا ، ثم حملت ، فأَتاهما ، فقـال مثل قوله ، فأَبيـا أَن يطيعاه ، فخـرجَ ميتًا ، فـأَتـاهما فذكـرَ لهما ، فأَدركهما حبُّ الـولـد ، فسمَّياهُ عبـدالحارث ، فذلك قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ . رواه ابن أَبي حاتم[٢] .

وله بسندٍ صحيحٍ عن قتادة، قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد ، في قوله :

﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

---

(١) وذلك لأَن تسميته بهذا الإسم لا محذور فيها ، لأَنَّ أَصله من عبودية الرق .

(٢) ذكـره ابن كثير (التفسير) ٢/ ٢٧٥ من طـريق عبـد الله بن المبـارك عـن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قـوله تعالى ﴿فلما آتاهما صـالحاً﴾[الأعراف : ١٩٠] ثم قال : (وكأنه ــ والله أعلم ـ أصلـه مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابـن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حـدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنـا سعيد ـ يعني ابن بشير ــ عن عقبة عن قتادة عن مجاهـد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : لما حملت حـواء أتاها الشيطـان) . وقال ابن كثير: (وهذه الآثار يظهـر عليها ـ والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب . اهـ) وقال في بيان المراد في هـذا السياق : (وأمـا نحن فعلى مذهب الحسـن البصري ـ رحمه الله ــ في هذا وأنـه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته . اهـ) .

قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً.

وذكرَ معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

□ **فيــه مســائل:**

- **الأولــى:** تحريم كل اسم معبد لغير الله.
- **الثانيـة:** تفسير الآية.
- **الثـالثـة:** انَّ هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.
- **الـرابعـة:** انَّ هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.
- **الخامسة:** ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

[التعليـــق:]

بـــاب:

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

مقصود الترجمة أنَّ من أنعـم الله عليهم بالأولاد، وكمَّل الله النعمـة بهم بأن جعلهم صــالحين في أبــدانهم، وتمام ذلـك أن يصلحـــوا في دينهم، فعليهم أن يشكـروا الله على إنعـامـه وأن لا يُعبِّدُوا أولادَهم لغير الله، أو يضيفـوا النعم لغير الله، فإنَّ ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد.

باب

قول الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾ الآية .

[الأعراف : ١٨٠]

ذكرَ ابنُ أَبي حاتم(١) عن ابن عباس : ﴿ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾ : يُشرِكون .

وعنه : سَمُّوا اللَّات من الإِلـٰهِ ، والعُزَّى من العَزِيز.

وعن الأَعمش : يُدخلون فيها ما ليسَ منها .

□ فيه مسائل :

• **الأولى :** إثبات الأَسماء .

• **الثانية :** كونها حسنى .

• **الثالثة :** الأَمر بدعائه بها .

• **الرابعة :** ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

• **الخامسة :** تفسير الإِلحاد فيها .

• **السادسة :** وعيد من أَلحَدَ .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

أَصل التوحيد إثبات ما أَثبته الله لنفسه ، أَو أثبته له رسوله من الأَسماء الحسنى ، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة ، والمعارف الجميلة ، والتعبُّد لله بها ودعاؤه بها .

---

(١) (الدر المنثور) ٣/ ١٤٩ وفيه (واللات من الله . . .) .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أُمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أَسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأَفضل من ذلك أَن يدعوه بأَسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأَسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأَثَّر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتليء بأَجلّ المعارف.

فمثلاً أَسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأَسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً له وشكراً.

وأَسماء العزّ والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه.

وأَسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأَفكار الردية والإرادات الفاسدة.

وأَسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه، والتفاتاً إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأَسمائه وصفاته، وتعبُّده بها لله لا يحصِّل العبد في الدنيا أجلَّ ولا أَفضلَ ولا أَكملَ منها، وهي أَفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلاَّ للكُمَّل من الموحِّدين.

وإثبات الأَسماء والصفات هو الأَصل لهذا المطلب الأَعلى .

وأَما الإِلحاد في أَسماء الله وصفاته فإِنَّه ينافي هذا المقصد العظيم أَعظم منافاة .

والإِلحاد أَنواع :

إما أَن ينفي الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم .

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم .

وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سموا اللات من الإلـٰه، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لها من أَسماء الله الحسنى، فشبَّهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة .

فحقيقة الإِلحاد في أَسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظاً أَو معنىً، تصريحاً أَو تأويلاً أَو تحريفاً، وكل ذلك منافٍ للتوحيد والإِيمان .



بـــاب

لا يُقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه، قـال: كُنَّا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السـلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا السلام على الله، فإنَّ الله هو السلام**»(١).

□ **فيــه مســـائل:**

- **الأولــى:** تفسير السلام.
- **الثـانيـة:** أنَّه تحية.
- **الثـالثـة:** أنَّها لا تصلح لله.
- **الـرابعـة:** العلة في ذلك.
- **الخامسة:** تعليمهم التحية التي لا تصلح لله.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

لا يُقال السلام على الله

وقَد بيَّن ﷺ هذا المعنـى بقوله: «**فإنَّ الله هو السلام**»، فهو تعـالى السلام السالم من كل عيب ونقص، وعـن مماثلة أَحـد من خلقه له، وهـو المسلِّم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لـن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أَحوالهم، وهو الغني الحميد.

---

(١) رواه البخـاري: كتاب صفـة الصـلاة بـاب ما يتخير من الـدعـاء بعد التشهـد وليس بـواجب (١/ ٢٨٧) حديث رقم (٨٠٠). ومسلم: كتاب الصـلاة باب التشهد في الصلاة (١/ ٣٠١-٣٠٢) حديث رقم (٤٠٢).

بـــاب

قول: اللهم اغفر لي إن شئتَ

في الصحيح عن أَبي هريـرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقُلْ أَحدُكم: اللهمَّ اغفر لي إنْ شِئتَ، اللهم ارحمني إنْ شِئْتَ، ليعزِمِ المسألة فإنَّ الله لا مُكْرِهَ لهُ»(١).

ولمسلم: «وليُعْظِمِ الرغبةَ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أَعطاه»(٢).

□ فيـــه مســـائل:

• **الأولــى:** النهي عن الاستثناء في الدعاء.

• **الثانيـة:** بيان العلة في ذلك.

• **الثـالثـة:** قوله: «ليعزم المسألة».

• **الـرابعـة:** إعظام الرغبة.

• **الخامسة:** التعليل لهذا الأَمر.

[التعليـــق:]

بــــاب:

قول: اللهم اغفر لي إن شِئتَ

الأُمور كلها وإنْ كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفـرة، والمطالب الـدنيويـة المعينة على الـدِّين كسـؤال العافيـة والرزق وتـوابع ذلك، قـد أُمِرَ العبـد أَن يسأَلها من ربـه طلباً ملحّـاً جـازماً، وهـذا الطَلَب عين العبودية ومحلها.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الـدعوات باب ليعزم المسألـة فإنَّه لا مكره لـه (٥/ ٢٣٣٤). حديث رقم (٥٩٨٠). ومسلم: كتاب الـذكر والدعاء بـاب العزم بالـدعاء ولا يقل إن شئت (٤/ ٢٠٦٣) حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الـذكر والدعـاء باب العزم بـالدعـاء ولا يقل إن شئت (٤/ ٢٠٦٣) حديث رقم (٢٦٧٩).

ولا يتم ذلك إلَّا بالطلب الجازم الذي ليسَ فيه تعليق بـالمشيئة، لأَنَّه مأمورٌ به، وهو خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهـر الفـرق بين هـذا وبين سـؤال بعـض المطـالب المعينـة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتهـا، ولا يجزم أَن حصولها خير للعبد. فالعبـد يسأل ربه ويعلقه على اختيـار ربه لـه أَصلح الأَمرين، كـالدُّعـاء المأثور: «**اللهم أَحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي**». وكدعاء الاستخارة.

فـافهم هذا الفـرق اللطيف البديع بين طلب الأُمـور النافعـة لمعلوم نفعهـا وعدم ضررهـا، وأَنَّ الدَّاعي يجزم بطلبهـا ولا يعلقها، وبين طلب الأُمـور التي لا يدري العبـد عن عواقبها، ولا رجحان نفعهـا على ضررها، فالـدَّاعي يعلقها على اختيار ربه الذي أَحاطَ بكل شيء علماً وقدرةً ورحمةً ولطفاً.



بــاب
لا يَقول: عبدي وأَمتي

في الصحيح عن أَبي هريرة، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يَقُلْ أَحدُكُم أَطْعِم ربك، وضِّىءْ ربك، ولْيَقُل: سيدي ومولاي، ولا يقل أَحدُكُم: عبدي وأَمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي»(١).

☐ فيــه مســائل:

• **الأولــى**: النهي عن قول: عبدي وأَمتي.

• **الثـانيـة**: لا يقول العبد ربي، ولا يُقال له: أَطعم ربك.

• **الثـالثـة**: تعليم الأَول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

• **الرابعـة**: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

• **الخامسة**: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الأَلفاظ.

[التعليــق:]

بــــاب:

لا يقل عبدي وأَمتي

وهذا على وجه الاستحباب أَن يعدِل العبـد عن قول عبدي وأَمَتي إلىٰ فتاي وفتـاتي، تحفظـاً عن اللفظ الـذي فيـه إيهام ومحذور ولـو على وجـه بعيـد، وليس حرامـاً، وإنَّما الأَدَب كمال التحفُظ بالأَلفـاظ الطيبة التـي لا توهم محذوراً بـوجه. فـإنَّ الأَدب في الأَلفاظ دليلٌ على كمال الإخـلاص، خصوصـاً هذه الأَلفـاظ التي هي أَمسّ بهذا المقام.

---

(١) رواه البخاري: كتـاب العتق بـاب كـراهيــة التطاول على الـرقيق (٢/ ٩٠١) حـديث رقم (٢٤١٤). ومسلم: كتـاب الأَلفـاظ من الأَدب بـاب حكم إطـلاق لفظة العبـد والأُمـة والمولى والسيد (٤/ ١٧٦٤) حديث رقم (٢٢٤٩).

بـــاب
لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمـر رضي الله عنهما، قال: قـال رسول الله ﷺ: «من سـأَلَ بالله فـأَعْطُوهُ، ومن استعـاذَ بـالله فأَعيـذوه، ومن دعَاكـم فأَجيبـوه، ومن صَنَعَ إِليكم معروفاً فكافئـوه، فإِنْ لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا لـه حتى تروا أَنَّكم قد كافأتموه».

رواه أَبو داود والنسائي بسندٍ صحيحٍ[1].

□ فيـــه مســـائل:

- **الأولـى:** إعاذة من استعاذ بالله.
- **الثـانيـة:** إعطاء من سألَ بالله.
- **الثـالثـة:** إجابة الدعوة.
- **الـرابعـة:** المكافأة على الصنيعة.
- **الخامسة:** أَنَّ الدعاء مكافأة لمن لم يقدِر إِلاَّ عليه.
- **السادسة:** قوله: «حتى تروا أَنكم قد كافأتموه».

---

(١) رواه أبو داود (السنـن) ٢/ ٣١٠ (كتاب الزكـاة) (باب عطيـة من سأل بالله) حـديث رقم ١٦٧٢ والنسائي (السنن) ٥/ ٨٢ (كتاب الزكاة) (بـاب من سأل بالله عز وجل) والحاكم في (المستدرك) ١/ ٤١٢ وقـال: (هذا حـديث صحيح على شرط الشيخين). وقال الـذهبي: (على شرطهما). والحديث سكت عليـه أبـو داود ثم المنـذري (مختصر سنن أبي داود) ٣/ ٢٥٣ وإسناده رجـالـه ثقات ليس فيه إلا ما يخشى من عنعنة الأعمش له عن مجاهد.

بـــاب
لا يسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

عن جابر، قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجـهِ الله إلاَّ الجنة». رواه أَبو داود[1].

□ فيـــه مســـائل:

• الأولـى: النهي عن أن يُسأَل بوجه الله إلاَّ غاية المطالب.

• الثانيـة: إثبات صفة الوجه.

[التعليـــق:]

بـــاب:

لا يرد من سألَ بالله

وباب لا يسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

الباب الأول خطاب للمسؤول: وأَنَّه إذا أَدلىٰ على الإنسان أَحد بحاجة وتوسل إليه بأَعظم الوسائل، وهـو السؤال بالله، أَن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحقِّ الله، وأَداءً لحقِّ أَخيه حيث أَدلى بهذا السبب الأَعظَم.

والباب الثاني خطاب للسائل: وأَنَّ عليه أَن يحترم أَسماء الله وصفـاته، وأَن لا يسأل شيئـاً من المطـالب الـدنيـوية بـوجـه الله، بل لا يسأل بـوجهـه إلاَّ أَهم المطالب وأَعظم المقاصد وهي الجنة بما فيهـا من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر

---

(١) (السنن) ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ (كتـاب الزكـاة) (باب كراهيـة المسألة بـوجه الله تعـالى). حديث رقم ١٦٧١ قال المنـذري (مختصر السنن) ٢/ ٢٥٢: (في إسناده سليمان بـن معاذ قال الـدارقطني: سليمان بن معاذ وهـو سليمان بن قرم... تكلم فيـه غير واحد). وقـال المناوي (فيض القـدير) ٦/ ٤٥١: (قـال في المهـذب: سليمان بن معاذ قـال ابن معين: ليس بشيء. وقـال عبـد الحق وابن القطان: ضعيف. اهـ).

إلىٰ وجهه الكريم والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأَسنى هو الذي يسأل بوجه الله.

وأَما المطالب الدنيوية والأُمور الدنيئة وإِنْ كانَ العبد لا يسألها إلاَّ من ربه فإِنَّه لا يسألها بوجهه.



بـــاب
مـا جـاء فـي اللـو

وقولِ الله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ .

[آل عمران : ١٥٤]

وقولهِ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

في الصحيح عن أَبي هـريـرة ، أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال : «**احْـرِصْ على مـا يَنْفَعُكَ، واستَعِنْ بـالله، ولا تَعْجِـزَنَّ، وإِن أَصابَـكَ شيءٌ فلا تقُل : لـو أَني فعلتُ كـذا لكانَ كذا وكذا. ولكن قُلْ : قَدَّرَ الله وما شاء فعل ، فإِنَّ لو تفتحُ عَمَلَ الشيطان**»(١) .

☐ **فيــه مســـائل :**

- **الأولــى :** تفسير الآيتين في آل عمران .
- **الثانيـة :** النهي الصريح عن قول : «لو» إذا أَصابك شيء .
- **الثـالثـة :** تعليل المسألة بأَنَّ ذلك يفتح عمل الشيطان .
- **الرابعـة :** الإرشاد إلىٰ الكلام الحسن .
- **الخامسة :** الأَمرُ بالحرص على ما ينفع ، مع الاستعانة بالله .
- **السادسة :** النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

[التعليـــق :]

بـــــاب :

ما جاء في اللو

اعلم أَنَّ استعمال العبد للفظة : «لو» تقع على قسمين : مذموم ومحمود .

---

(١) رواه مسلم : كتاب القدر بـاب في الأَمر بالقوة وترك العجـز والاستعانة بالله وتفـويض المقادير لله (٤ / ٢٠٥٢) حـديث رقم (٢٦٦٤) . وأولـه : «المؤمن القـوي خير وأَحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أَحرص. . .» .

أَما المذموم فأن يقع منه أَو عليه أَمرٌ لا يحبه فيقول: لو أَني فعلتُ كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأَن فيه محذورين:

أحدهما: أَنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

الثاني: أَنَّ في ذلك سوء أَدَب على الله وعلى قدره فإِنَّ الأُمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقعَ من الأُمور فلابدَّ من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا أَو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أَنَّ هذين الأَمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلاَّ بتركهما.

وأَما المحمود من ذلك فأَن يقولها العبد تمنِّياً للخير.

كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أَمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأَهللت بالعمرة**»[1].

وقوله في الرجل المتمني للخير: «**لو أَنَّ لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان**»[2].

و «**لو صَبَرَ أَخي موسى لقصَّ الله علينا من نبأهما**»[3]. أَي في قصته مع الخضر.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المنسك كلها إلاَّ الطواف بالبيت (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٥) حديث رقم (١٥٦٨). ومسلم: كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام (٢/ ٨٨٣ - ٨٨٤) حديث رقم (١٢١٦). وهو جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (السنن) ٤/ ٥٦٢ (كتاب الزهد) (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) حديث ٢٣٢٥ وقال: حسن صحيح. اهـ.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦ - ١٢٤٨) رقم (٣٢٢٠). ومسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢) حديث رقم (٢٣٨٠) وهو جزء من حديث طويل عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

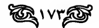
وكما أَنَّ (لو) إذا قالها متمنيًّا للخير فهو محمـود. فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم.

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إنْ حملَ عليها الضجَر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقَدَر أَو تمنَّى الشر كان مذموماً.

وإن حملَ عليها الـرغبة في الخير والإرشـاد والتعليم كان محمـوداً ولهذا جعلَ المصنِّف الترجمة محتملة للأَمرين.





بـــاب
النهي عن سبّ الريح

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ رسـولَ الله ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإذا رأيْتُم ما تكرهون فقولوا: اللَّهُمَّ إِنَّـا نَسْأَلُكَ من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمِـرَتْ به، ونعـوذ بك من شرِّ هذه الريح، وشَرِّ مـا فيها، وشرِّ مـا أُمِرَتْ به». صححه الترمذي(١).

□ فيـــه مســـائل:

• **الأولـى**: النهي عن سبِّ الريح.

• **الثانيـة**: الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

• **الثـالثـة**: الإرشاد إلىٰ أنَّها مأمورة.

• **الـرابعـة**: أَنَّها قد تؤمَر بخير، وقد تؤمَرُ بشر.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

النهي عن سبِّ الريح

وهذا نظير مـا سبقَ في سبِّ الدهـر، إلاَّ أَن ذلك الباب عـام في سب جميع حوادث الـدهر، وهـذا خاص بالـريح، ومع تحريمه فـإنَّه حمق وضعف في العقل والرأي، فـإن الريح مصرفـة مدبرة بتـدبير الله وتسخيره فالسـابّ لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أَنَّ المتكلم بسب الـريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غـالباً لكان الأَمر أَفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

---

(١) (السنن) ٤/ ٥٢١ (كتاب الفتن) (باب النهي عن سب الريـاح) حديث رقم ٢٢٥٢ وقال: هذا حـديث حسن صحيح. اهـ. وقـال: وفي البـاب عن عـائشـة، وأبي هـريـرة، وعثمان بن أبي العاص، وأنس، وابن عبـاس، وجابر، قلت: وفي إسنـاد حديث أبي (محمـد بن فضيل) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٠١: (صدوق. اهـ).

باب
قول الله تعالى

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾
[آل عمران : ١٥٤].

وقوله : ﴿الظَّانِّينَ بالله ظَنَّ السَّوْءِ، عليهمْ دائرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦].

قال ابن القيم في الآية الأُولى :

فُسِّرَ هذا بأَنَّـه سبحانه لا يَنصرُ رسولـه وأَنَّ أمره سيضمحل، وفُسِّرَ بظنهم أَنَّ ما أَصـابهم لم يكن بقدر الله وحكمتـه، ففسر بإِنكـار الحكمة وإِنكـار القدر، وإِنكار أَن يتم أَمـر رسوله ﷺ وأَن يظهره على الـدين كله، وهذا هـو ظنّ السوء، الذي ظَنَّهُ المنـافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هـذا ظن السوء لأَنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أَنه يُديلُ الباطل على الحق إِدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أَو أَنكـرَ أَن يكون مـا جـرى بقضائه وقـدَره، أَو أَنكـرَ أَن يكون قَـدَره لحكمـةٍ بالغـةٍ يستحق عليها الحمـد، بل زعم أَنَّ ذلك لمشيئةٍ مجردةٍ، فذلك ظن الـذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار.

وأَكثر النـاس يظنون بالله ظن السـوء فيما يختصُّ بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَم من ذلك إِلاَّ من عرَفَ الله وأَسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ الله ويستغفره من ظنّه بربه ظنّ السوء.

ولو فتشتَ من فتشت لرأيتَ عنده تعنتاً على القدَرِ وملامةً له، وأنّه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ ومُستكثِرٌ، وفتش نفسَك: هل أنت سالم؟

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ
وإلاَّ فإنِّي لا إخالُكَ ناجياً

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير آية آل عمران.
- **الثانية:** تفسير آية الفتح.
- **الثالثة:** الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.
- **الرابعة:** أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

[التعليق:]

باب:

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾

وذلكَ أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبرَ الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبرَ إليه به من أسمائه وصفاته وكماله وتصديقه بكل ما أخبر به، وأنه يفعله، وما وعدَ به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان.

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد، لأنّها سوء ظن بالله ونفي لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده. والله أعلم.

بــاب
ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نَفْسُ ابن عمرَ بيده، لو كان لأَحَدِهِمْ مثل أُحُدٍ ذَهَباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ. ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ: «**الإيمانُ أَن تُؤْمِنَ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خَيْرِهِ وشرِّهِ**». رواه مسلم[1].

وعن عُبَادة بن الصَّامِت: أنَّه قال لابنه: يا بُنَيَّ، إنَّكَ لن تجدَ طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أنَّ ما أَصابَكَ لم يكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخطأَكَ لم يكن لِيُصيبكَ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فقال له: اكْتُبْ، فقال: رَبِّ وماذا أَكْتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ حتى تقوم الساعةُ**». يا بُنَيَّ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ماتَ على غيرِ هذا فليس مِني**»[2].

وفي روايةٍ لأَحمد: «**إنَّ أَوَّلَ ما خلق الله تعالى القَلَم، فقال له: اكْتُبْ، فَجَرَى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة**»[3].

وفي رواية لابن وَهْبٍ: قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يُؤْمِنْ بالقدر خيره وشرِّهِ أَحْرَقَهُ الله بالنَّارِ**»[4].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله... (١/ ٣٦، ٣٨) حديث رقم (٨). جزء من حديث جبريل المشهور وهو في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه باللفظ المذكور أبو داود في (السنن) ٥/ ٧٦ (كتاب السنة) (باب في القدر) حديث رقم ٤٧٠٠ سكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود ٧/ ٦٩ وله طرق كثيرة يصح بها. انظر (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) (المسند) ٥/ ٣١٧ من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) (القدر) لابن وهب ص ١٢١ حديث رقم ٢٦ من طريق عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال: قال عبادة بن الصامت... الحديث وإسناده منقطع بين (سليمان بن مهران) وهو الأعمش وكان مولوده أول إحدى وستين. (تهذيب التهذيب) ٤/ ٢٢٣ وبين (عبادة بن الصامت) وقد توفي سنة أربع وثلاثين (التقريب) ص ٢٩٢.

وفي المسند والسُّنَنِ عن ابن الدَّيْلَمِيِّ، قال: أَتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلتُ له في نفسي شيءٌ من القَدر، فحدَّثني بشيءٍ، لعلَّ الله يُذهبهُ من قلبي، فقال: «لو أَنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما قبلهُ الله منك حتى تُؤْمِنَ بالقدر، وتعلمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لم يكُن لِيُخْطِئَكَ، وما أَخطأَكَ لم يكُن لِيُصيبَكَ، ولو مُتَّ على غير هذا لكنتَ من أَهلِ النار»، قال: فأَتيتُ عبدالله بن مسعود، وحُذيفةَ بن اليمان، وزيدَ بن ثابت، فكلُّهُمْ حدَّثني بمثلِ ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيحٌ، روا ه الحاكم في صحيحه[1].

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** بيان فرض الإيمان بالقدر.
- **الثانية:** بيان كيفية الإيمان به.
- **الثالثة:** إحباط عمل من لم يؤمن به.
- **الرابعة:** الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.
- **الخامسة:** ذكر أول ما خلقَ الله.
- **السادسة:** أنَّه جرى بالمقادير في تلكَ السَّاعة إلىٰ قيام الساعة.
- **السابعة:** براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.
- **الثامنة:** عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.
- **التاسعة:** أنَّ العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنَّهم نسبوا الكلام إلىٰ رسول الله ﷺ فقط.

---

(١) رواه أبو داود (السنن) ٥/ ٧٥ (كتاب السنة) (باب في القدر) حديث رقم ٤٦٩٩ وابن ماجة (السنن) ١/ ٢٩ ــ ٣٠ (المقدمة) (باب في القدر) حديث رقم ٧٧ والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٨٢، ولم أقف عليه في (المستدرك) للحاكم ولعله أراد ابن حبان في (صحيحه) (موارد الظمآن) ص ٤٥٠ حديث رقم ١٨١٧، قال المنذري في (مختصر السنن) ٧/ ٦٩: (وفي إسناده سعيد بن سنان الشيباني، وثقه يحيى بن معين وغيره، وتكلم الإمام أحمد وغيره). وقال فيه ابن حجر في (تقريب التهذيب) ١/ ٢٩٨: (صدوق له أوهام). وصححه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ١٠٩.

[التعليق :]

باب :

ما جاء في منكري القدر

قد ثبتَ بالكتاب والسنة وإجماع الأُمة : أَنَّ الإيمان بالقدر أَحد أَركان الإيمان، وأَنَّه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنَّه ما آمن بالله حقيقة .

فعلينا أَن نُؤمِن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أَنَّ الله بكل شيء عليم، وأَنَّه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة وأَنَّ الأُمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأَنَّ الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .



بـــاب
ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**». أخرجاه[(١)].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»**[(٢)].

ولهما عن ابن عباس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم»**[(٣)].

ولهما عنه مرفوعاً: **«من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»**[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (الصحيح) ٦/ ٢٧٤٧ (كتاب التوحيد) (باب قول الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ حديث رقم ٧١٢٠. ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صور غير ممتهنة بالفرش ونحوه. . . . (٣/ ١٦٧١) رقم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس باب ما وطيء من التصاوير (٥/ ٢٢٢١) حديث رقم (٥٦١٠). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان. . . . (٣/ ١٦٦٨) حديث رقم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح (٢/ ٧٧٥) حديث رقم (٢١١٢). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان. . . (٣/ ١٦٧٠ - ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠) واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري: كتاب اللباس باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ (٥/ ٢٢٢٣) حديث رقم (٥٦١٨). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان. . . (٣/ ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠).

ولمسلم عن أَبي الهَيَّاجِ: قال: قال لي عليٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أَن لا تَدَعَ صورةً إِلاَّ طَمَسْتَها، ولا قبراً مُشْرِفاً إِلاَّ سَوَّيته»[١].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** التغليظ الشديد في المصورين.
- **الثانية:** التنبيه على العلة وهو ترك الأَدب مع الله لقوله: «**ومَن أَظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي**».
- **الثالثة:** التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: (**فليخلقوا ذرَّةً**) أَو (**شعيرةً**).
- **الرابعة:** التصريح بأَنَّهم أَشدّ الناس عذاباً.
- **الخامسة:** أَنَّ الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم.
- **السادسة:** أَنَّه يكلف أَن ينفخ فيها الروح.
- **السابعة:** الأَمر بطمسها إِذا وجدتْ.

[التعليق:]

باب:

ما جاء في المصورين

وهذا من فروع الباب السابق أَنه لا يحل أَن يجعل لله ندّاً في النيات والأَقوال والأَفعال، والندّ المشابه ولو بوجه بعيد.

فاتخاذ الصور الحيوانية تشبهٌ بخلق الله، وكذب على الخلقة الإِلـٰهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز باب الأَمر بتسوية القبر (٢/ ٦٦٦) حديث رقم (٩٦٩).

بــاب
ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مَنفَقَةٌ للسِّلعةِ، مُمْحَقةٌ لِلكَسب**». أخرجاه(١).

وعن سلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُم الله ولا يُزكِّيهم ولهم عذابٌ أليم: أُشَيْمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مُستَكبِرٌ، ورجلٌ جعلَ الله بِضاعَتهُ، لا يشتري إلاَّ بيمينهِ، ولا يبيع إلاَّ بيَمينه**». رواه الطبراني بسندٍ صحيح(٢).

وفي الصحيح عن عمران بن حُصَينٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم - قال عمران: فلا أَدْري أَذَكَرَ بعد قَرْنِهِ مرتين أو ثلاثة؟ - ثم إنَّ بعدَكُم قومٌ يَشْهدُونَ ولا يُستَشْهدون، ويخُونون ولا يُؤتَمَنون، ويَنذِرون ولا يُوفون، ويَظهَرُ فيهمُ السِّمَنُ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع باب يمحق الله الربا ويُربي الصدقات (٢/ ٧٣٥) حديث رقم (١٩٨١). ومسلم: كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع (٣/ ١٢٢٨) حديث رقم (١٦٠٦). في البخاري: ممحقة للبركة، وفي مسلم: ممحقة للربح.

(٢) (المعجم الكبير) ٦/ ٣٠١ حديث رقم ٦١١١ و(المعجم الصغير) ٢/ ٢١ من طريق سعيد بن عمرو الأشعثي حدثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارس مرفوعاً وقال: لم يروه عن عاصم الأحفص. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٤/ ٧٨: (رواه الطبري في الثلاثة إلا أنه قال في (الصغير) و(الأوسط): ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. فذكره ورجاله رجال الصحيح. اهـ) ولفظه في (الكبير): ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أشيمط زان... الحديث.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣/ ١٣٣٥)، حديث رقم (٣٤٥٠). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٤) حديث رقم (٢٥٣٥).

وفيه عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يَلونَهُم، ثُمَّ يَجيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَةُ أَحَدِهِمْ يمينَهُ، ويَمينُهُ شَهَادَتَهُ»(١).

وقال إبراهيم: كانوا يَضْربونَنا على الشَّهادَةِ والعهد ونحن صِغَارٌ.

□ فيه مسائل:

• الأولى: الوصية بحفظ الأَيمان.

• الثانية: الإخبار بأَنَّ الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

• الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلاَّ بيمينه.

• الرابعة: التنبيه على أَنَّ الذنب يعظم مع قلة الدَّاعي.

• الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

• السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أَو الأَربعة وذكر ما يحدث بعدهم.

• السابعة: ذمّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.

• الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

[التعليق:]

باب:

ما جاء في كثرة الحلف

أَصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأَمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجبَ أَن لا يُحلَف إلاَّ بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أَن لا يحلف بالله إلا صادقاً.

ومن تمام هذا التعظيم أَن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، بالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل أَصحاب النبي ﷺ باب فضائل أَصحاب النبي (٣/ ١٣٣٥) حديث رقم (٣٤٥١). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٢ _ ١٩٦٣) حديث رقم (٢٥٣٣) (٢١٠).

بــــاب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ﴾ [النحل : ٩١] .

عن بُرَيْدَة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّر أميراً على جيش ، أو سَرِيَّةٍ أَوصاهُ بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً . فقال : «اغْزُوا بسمِ الله في سبيل الله ، قاتِلُوا من كَفَرَ بالله ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تُمَثِّلوا ، ولا تقتُلوا وليداً ، وإذا لقيت عدُوَّكَ من المشركين فادْعُهُم إلىٰ ثلاث خصال ــ أو خِلال ــ فأَيتهُنَّ ما أَجابوك فاقْبَل منهم وكُفَّ عنهم ، ثم ادْعُهُم إلىٰ الإسلام ، فإن أَجابوكَ فاقبل منهم ، ثم ادْعُهُم إلىٰ التَّحوُّل من دارِهم إلىٰ دارِ المُهَاجرين ، وأَخبِرْهم أَنَّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإنْ أَبوْا أَن يتحولوا منها فأَخبرهم أَنَّهم يكونون كأَعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ، إلَّا أَن يجاهدوا مع المسلمين ، فإنْ هم أَبَوا فاسأَلْهم الجِزْيَة ، فإنْ هم أَجابوكَ فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ، فإنْ هم أَبوا فاستعِن بالله وقاتِلهم .

وإذا حاصَرْت أَهلَ حصنٍ فأَرادوك أَن تجعلَ لهم ذِمَّة الله وذمَّة نبيِّه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمَّة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذِمَّتك وذِمَّة أَصحابك ، فإنَّكم إن تخفِروا ذِممكم وذِمَّة أَصحابكم أَهونُ من أَن تُخفِروا ذِمَّة الله وذِمَّة نبيِّه ، وإذا حاصرت أَهل حصنٍ فأَرادوك أَن تُنْزِلهم على حُكم الله ، فلا تُنزِلْهُمْ على حُكم الله ؛ ولكن أَنزِلْهُم على حكمك ، فإنَّكَ لا تدري أَتُصيبُ فيهم حكم الله أَم لا ؟» . رواه مسلم[1] .

(١) رواه مسلم : كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأُمراء على البعوث ووصيته إيَّاهم بآداب الغزو وغيرها . (٣/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٨) حديث رقم (١٧٣١) .

□ فيــه مســائل :

• **الأولــى :** الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

• **الثانيـة :** الإرشاد إلىٰ أقل الأمرين خطراً .

• **الثـالثـة :** قوله : «**اغزوا بسم الله في سبيلِ الله**» .

• **الرابعـة :** قوله : «**قاتلوا من كفرَ بالله**» .

• **الخامسـة :** قوله : «**استعن بالله وقاتلهم**» .

• **السادسة :** الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

• **السابعة :** في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟ .

[التعليــق :]

بــــاب :

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

المقصود من هذه الترجمة البعد والحذَر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها ، بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله . فإنَّه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ، وتركاً لتعظيم الله ، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبَّه عليه ﷺ .

وفي ذلك أيضاً تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكُفَّار به ، فإنَّ الوفاء بالعهود خصوصاً المؤكَّدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلىٰ تفضيله واتِّباعه .

بـــاب

ما جاء في الإقسام على الله

عن جُنْدب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجلٌ: والله لا يغفِـر الله لفـلانٍ، فقال الله عـزَّ وجلَّ: من ذا الـذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفِـر لفلان؟ إنِّي قد غفرتُ له وأَحبطتُ عملك**». رواه مسلم(١).

وفي حديث أَبي هـريرة(٢): أَنَّ القائل رجلٌ عـابدٌ، قال أَبو هـريرة: تكلَّم بكلمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخِرته.

□ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولـى:** التحذير من التألِّي على الله.

• **الثانيـة:** كون النار أَقرب إلى أَحدِنا من شراك نعله.

• **الثـالثـة:** أَنَّ الجنة مثل ذلك.

• **الـرابعـة:** فيه شاهد لقوله: «**إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة**» إلى آخره.

• **الخامسـة:** أَنَّ الرجل قد يغفر له بسبب هو من أَكره الأُمور إليه.

---

(١) رواه مسلم: كتـاب البر والصلـة والآداب بـاب النهي عن تقنيط الإنسـان من رحمة الله تعـالى (٤/ ٢٠٢٣) حديث رقم (٢٦٢١). وتمامه: أو كما قال. اهـ.

(٢) رواه أبو داود في (السنن) ٥/ ٢٠٧ (كتـاب الأدب) (باب النهي عن البغي) حـديث رقم ٤٩٠١ وأوله: (كـان رجلان في بني إسرائيل...) قـال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٢٥: (في إسناده علي بن ثابت الجزري قال الأزدي: ضعيف، وقال أبـو حاتم: يكتب حديثه. وقال ابن معين: ثقة، وقـال أبو زرعـة: ثقة لا يأس به). وقـال ابن حجر (تقـريب التهذيب) ١/ ٣٢: (صدوق ربما أخطأ، وقد ضعفه الأزدي بلا حجة. اهـ).

بـــاب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله عنه ، قـال : جاء أَعـرابيٌّ إِلى النبي ﷺ فقال : يـا رسول الله ، نُهكت الأَنفسُ ، وجـاع العيـال ، وهلكت الأَمـوال ، فاستسق لنـا ربَّكَ فإنـا نستشفع بالله عليك ، وبـك على الله . فقال النبي ﷺ : «**سبحان الله ، سبحان الله !**» فما زال يُسبِّح حتى عُرِف ذلك في وجوه أَصحابه . ثم قال النبي ﷺ : «**ويحكَ! أَتـدري ماالله؟ إن شأن الله أَعظم مـن ذلك ، إنَّه لا يُستشفع بـالله على أَحَد من خلقه**» . وذكر الحديث ، رواه أَبو داود[1] .

□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولــى :** الإنكار على من قال : «**نستشفع بالله عليك**» .
- **الثـانيـة :** تغيره تغيراً عرف في وجوه أَصحابه من هذه الكلمة .
- **الثـالثـة :** أَنه لم ينكر عليه قوله : «**نستشفع بك على الله**» .
- **الـرابعـة :** التنبيه على تفسير «**سبحان الله**» .
- **الخامسة :** أَنَّ المسلمين يسألونه الاستسقاء .

---

(١) (السنن) ٥/ ٩٤ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٦ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٩٧ : (قال أبـو بكر البـزار: وهذا الحديث لا نعلمـه يروى عن النبي ﷺ مـن وجه من الوجوه إلا من هـذا الوجه ، ولم يقل فيه محمد بن إسحاق حدثني يعقوب بن عقبة) وقال: (ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس عـن فلان ولم يقل حدثنا أو سمعت أو أخبرنا لا يحتج بخبره ، وإلى هـذا أشـار البزار مع أن ابـن إسحاق إذا صرح بـالسماع اختلف الحفـاظ في الاحتجـاج بحديثـه فكيف إذا لم يصرح به . . .) وقـد نـاقش ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (تهذيب السنن) ٧/ ٩٤ تعليل المنذري هذا مناقشة طـويلة . والحديث ضعفه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ٢٥٢ حديث رقم ٥٧٥ . ولم أقف على قـوله (أن شأن الله أعظم من ذلك أنه لا يستشفع بـالله على أحـد من خلقـه) . في سنـن أبي داود ، ووقفت عليـه في (السنـة) لابن أبي عاصـم ١/ ٢٥٢ حديث رقم ٥٧٥ . وفي سنن أبي داود ـ أيضاً ـ مكان قولـه (نهكت الأنفس) (نهكت الأموال) .

[التعليق :]

بـــاب :

الإقسام على الله

وبـاب : لايستشفع بالله على خلقه

وهذان الأَمران من سوء الأَدب في حقِّ الله ، وهو منافٍ للتوحيد .

أَمَّا الإِقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإِدلال على الله ، وسوء الأَدب معه ، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله .

وأَما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالىٰ أَعظم شأناً من أَن يتوسل به إِلىٰ خلقه ، لأَن رتبة المتوسل به غالباً دون رتبة المتوسل إِليه ، وذلك من سوء الأَدب مع الله ، فيتعين تركه ، فإِنَّ الشفعاء لا يشفعون عنده إِلاَّ بإِذنه ، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأَمر فيجعل هو الشافع ، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب ، وذلّت له الكائنات بأَسرِها .

بــــاب

ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

عن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: أَنتَ سيِّدُنا، فقال: «**السيدُ الله تباركَ وتعالىٰ**»، قلنا: وأَفضلُنا فضلاً، وأَعظمُنا طوْلاً، فقال: «**قولوا بقولكم أَو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**». رواه أَبو داود بسندٍ جيِّد[1].

وعن أَنس رضي الله عنه: أَنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيْرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أَيُّها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطانُ، أَنَا محمدٌ عبدالله ورسوله، ما أُحِبُّ أَن ترفعوني فوق منزلتي التي أَنزلني الله عزَّ وجلَّ**». رواه النسائي بسندٍ جيِّد[2].

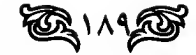
☐ **فيــه مســـائل:**

- **الأولــى:** تحذير الناس من الغلو.
- **الثانيـة:** ما ينبغي أَن يقول من قيل له: «**أَنتَ سيدنا**».
- **الثـالـثـة:** قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أَنهم لم يقولوا إلاَّ الحق.
- **الرابعـة:** قوله: «**ما أُحِبُّ أَن ترفعوني فوق منزلتي**».

---

(١) (السنن) ٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥ (كتاب الأدب) (باب في كراهية التمادح) حديث رقم ٤٨٠٦ قال ابن حجر (فتح الباري) ٥/ ١٧٩: (رجاله ثقات وقد صححه غير واحد). وقال المناوي (فيض القدير) ٤/ ١٥٢: (سكت عليه أبو داود ثم المنذري). اهـ.

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٢٥٠ حديث رقم (٢٤٩) (ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي). من طريق أبي بكر بن نافع حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت عن أنس. الحديث بنحوه. وله طريق أخرى عن أنس عن الإمام أحمد (المسند) ٣/ ٢٤١ وطريقان آخران عن حماد به رواهما الإمام أحمد ـ أيضاً ـ (المسند) ٣/ ١٥٣ و٢٤٩ قال ابن عبد الهادي (الصارم المنكي) ص ٢٤٦: (وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس . . . الحديث).



[التعليق :]

بـــاب :

ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

تقدَّمَ [(١)] نظير هذه الترجمة وأَعادها المصنف اهتماماً بالمقام ، فإنَّ التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلاَّ باجتناب جميع الطرق المفضية إلىٰ الشرك ، والفرق بين البابين أَنَّ الأَول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدُّب والتحفظ بالأَقوال .

فكل قول يُفضي إلىٰ الغلو الذي يُخشىٰ منه الوقوع في الشرك فإنَّه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلاَّ بتركه .

والحاصل أَن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأَركانه ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً ، قولاً وفعلاً وإِرادة واعتقاداً .

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك .



---

(١) ص ٨٥ (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) .

بـــاب

ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأَحْبَار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجدُ أن الله يجعل السمٰوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أَنَا المَلِكُ، فضحِك النبي ﷺ حتى بدَتْ نواجِذُه، تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿وما قَدَروا الله حقَّ قدره والأَرض جميعاً قبضتُه يومَ القيامة﴾ متفق عليه[1] .

وفي رواية لمسلم: «**والجبال والشجر على إصبعٍ، ثم يَهُزُّهُنَّ فيقول: أَنَا الملِكُ، أَنَا الله**»[2] .

وفي رواية للبخاري: «**يجعل السمٰوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**». أَخرجاه[3] .

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (٤/ ١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم: كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦). وليس فيهما قوله: الماء على إصبع، والثرى على إصبع.

(٢) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (٤/ ١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم: كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦).

ولمسلم عن ابن عمرَ مرفوعاً: «**يَطْوي الله السمٰوات يومَ القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أَنَا المَلِكُ، أَينَ الجبَّارون؟ أَينَ المتكبرون؟ ثم يطوي الأَرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أَنَا المَلِكُ، أَين الجبَّارون؟ أَين المتكبرون؟**»[(١)].

ورُوي عن ابن عباس قال: **ما السمٰواتُ السبعُ والأَرضون السبعُ في كفِّ الرحمٰن إلاَّ كخرْدَلَةٍ في يدِ أَحدِكم**[(٢)].

وقال ابن جرير: حدَّثني يونُسُ أَخبرنا ابنُ وهبٍ قال: قال ابن زيدٍ: حدَّثني أَبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السمواتُ السَّبْعُ في الكُرْسِيِّ إلاَّ كدراهِم سبعةٍ أُلقِيتْ في تُرْسٍ**»[(٣)].

قال: وقال أَبو ذَرٍّ رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسيُّ في العرْشِ إلاَّ كحلقةٍ من حديد أُلقيت بين ظهْري فلاةٍ من الأَرض**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأَحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨) حديث رقم (٢٧٨٨).

(٢) رواه ابن جرير (التفسير) ٢٤/ ١٧ في تفسير قوله تعالى ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره﴾، الآية من طريق معاذ بن هشام ثنى أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مثله. إلا أنه قال (يد الله) مكان (كف الرحمن). وفي إسناده (عمرو بن مالك) وهو الفكري أبو مالك ذكره ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل) ٦/ ٢٥٩ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال ابن حبان (المجروحين) ٣/ ١١٤ في ترجمة ابنه (يحيى بن عمرو بن مالك): (... فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين). وقال ابن عدى في ترجمة (أبي الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربعي: (حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة). (تهذيب التهذيب) ١/ ٣٨٤.

(٣) (تفسير ابن جرير) ٣/ ٧ ـ ٨ (وابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الذهبي (العلو) ص ٩١: (هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف. اهـ).

(٤) ذكره ابن جرير ـ معلقاً ـ (التفسير) ٣/ ٨. بمثل لفظ المؤلف، وذكره الذهبي (العلو) ص ٨٩ ـ ٩٠ من طريق يحيى بن سعيد العبشمي حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي آية أعظم؟ قال: آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي ألا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الغلاة على تلك الحلقة). وقال: (وأحسب العبشمي هو الأموي صدوق وإلا فهو آخر، والخبر منكر. اهـ).

وعن ابن مسعودٍ، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعةِ والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهْدِي عن حمَّاد بن سلمة عن عاصم عن زِرٍّ عن عبدالله. ورواه بنحوهِ المَسْعودِيُّ عن عاصمٍ عن أَبي وائلٍ عن عبدالله. قاله الحافظ الذهبيُّ رحمه الله تعالى، قال: وله طُرُقٌ[1].

وعن العباس بن عبدالمُطَّلِب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون كم بين السماء والأَرض؟» قلنا: الله ورسوله أَعلم، قال: «بينهما مسيرةُ خمسمائة سنةٍ، ومن كلِّ سماءٍ إِلىٰ سماء مسيرةُ خمسمائة سنةٍ، وكِثَفُ كُلِّ سَماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ، بين أَسفلِه وأَعلاهُ كما بين السماء والأَرض، والله سبحانه وتعالى فوقَ ذلك، وليس يَخفَى عليه شيءٌ من أَعمال بني آدم»**. أَخرجه أَبو داود وغيره[2].

---

(١) قول الذهبي في (العلو) ص ٣٩ لكنه قال: (والكرسي فوق الماء والله فوق الكرسي). ولم يذكر العرش. والحديث رواه ابن خزيمة (كتاب التوحيد) ص ١٠٥ و ١٠٦ (باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى). ورواه في موضع آخر ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ (باب ذكر موضع عرش الله عز وجل قبل خلق السموات) ورواه الذهبي (العلو) ص ٣٩ وصحح إسناده في موضع آخر من (العلو) ص٦٤ وصحح إسناده ـ أيضاً ـ ابن القيم (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ١٠٠.

(٢) اللفظ المذكور لم أقف عليه عند أبي داود وقد رواه الإمام أحمد في (المسند) ١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ مطولاً من طريقين: الأول عن عبد الله بن عميرة عن عباس بن عبد المطلب، والثاني عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، وفي إسناد الطريق الأولى: يحيى بن العلاء وهو واه. (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩ وقال الذهبي في ترجمة (عبد الله بن عميرة): (فيه جهالة قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس). (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩. ورواية أبي داود فيها أن المسافة بين السماء والأرض (أما واحداً أو اثنتين، أو ثلاثاً وسبعين سنة). (السنن) ٥/ ٩٣ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٣ وإسناده ضعيف لما تقدم.

□ فيه مسائل :

- **الأولى :** تفسير قوله [تعالى] : ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ .
- **الثانية :** أنَّ هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ ولم ينكروها ولم يتأولوها .
- **الثالثة :** أنَّ الحبرَ لما ذكرَ ذلك للنبي ﷺ صدَّقه ونزلَ القرآن بتقرير ذلك .
- **الرابعة :** وقوع الضحِك منه ﷺ لما ذكرَ الحبر هذا العلم العظيم .
- **الخامسة :** التصريح بذكر اليدين وأنَّ السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأُخرى .
- **السادسة :** التصريح بتسميتها الشمال .
- **السابعة :** ذكر الجبَّارين والمتكبرين عند ذلك .
- **الثامنة :** قوله : «**كخردلة في كفِّ أحدِكم**» .
- **التاسعة :** عظم الكرسي بالنسبة إلىٰ السموات .
- **العاشرة :** عظمة العرش بالنسبة إلىٰ الكرسي .
- **الحادية عشرة :** أَنَّ العرش غير الكرسي والماء .
- **الثانية عشرة :** كم بين كل سماء إلىٰ سماء؟ .
- **الثالثة عشرة :** كم بين السماء السابعة والكرسي؟ .
- **الرابعة عشرة :** كم بين الكرسي والماء؟ .
- **الخامسة عشرة :** أَنَّ العرشَ فوق الماء .
- **السادسة عشرة :** أَنَّ الله فوقَ العرش .
- **السابعة عشرة :** كم بين السماء والأَرض؟ .
- **الثامنة عشرة :** كثف كل سماء خمسمائة سنة .
- **التاسعة عشرة :** أَنَّ البحر الذي فوق السماوات بين أَعلاه وأَسفله [مسيرة] خمسمائة سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾

ختمَ المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأَسرها لعزه ، لأَنَّ هذه النعوت العظيمة والأَوصاف الكاملة أَكبر الأَدلة والبراهين على أَنه المعبود وحده ، المحمود وحده ، الذي يجب أَن يذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحبّ والتأله ، وأَنه الحقّ وما سواه باطل ، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه ، وسر الإِخلاص .

فنسأَل الله أَن يملأَ قلوبنا من معرفته ومحبته والإِنابة إِليه ، إِنَّه جواد كريم .

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده ، وقد حوى من غُرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أَصل الأُصول وبه تقوم العلوم كلها .

والحمد لله على تيسيره ومنته .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

فهرس الأحاديث والآثار

***

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة